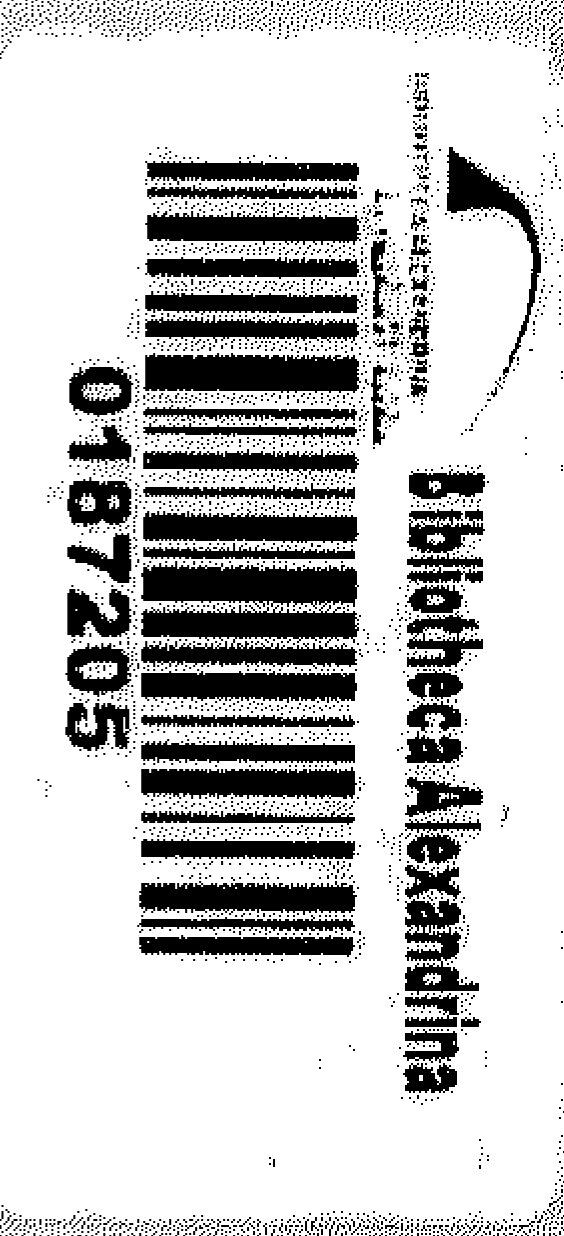
تراث العرب القديم في ميدان علم النّبات

فريد جحا

الدار العربية للكتاب



فريد جحا

تراث العرب القديم
في ميدان علم النبات

الدار العربية للكتاب

ر. د. م. ك. ـ 4 ـ 10048 73 99

الإهداء

إلى فؤاد سزكين العالم الكبير
والمحب للعرب
وصاحب أجود مؤلف في تاريخ تراثهم .
يهدى هذا الكتاب

" فريد "

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــد

يعيش مؤلف هذا الكتاب مع تراث العرب في مختلف ضروبه منذ وعى أمور الحياة . بدأ بتعرف الجانب الأدبي واللغوي والديني والفلسفي منه منذ دراسته الثانوية في الأربعينيات ، ثم عمق هذه المعرفة خلال دراسته للغة العربية وآدابها بكلية الآداب من جامعة دمشق بين سنتي 1946 و 1950 ، ثم خلال تدريسه الأدب العربي ، وقراءاته المختلفة فيه ، ثم تأليفه بعض الكتب حول ذلك بين سنتي 1951 و 1975 .

ولما أُحدث معهد التراث العلمي العربي ، وأقيمت الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم بجامعة حلب في نيسان من عام 1976 .أسهم فيها ببحث حول (الفارابي العالم) . ولقد كانت الندوة تلك ، والبحث هذا مناسبة لإطلاعه على جانب غني ثريّ من جوانب الحضارة العربية أعني الجانب العلمي . وهكذا انكب منذ ذلك العام ، وحتّى وقت كتابة هذه السطور على الإطلاع على التراث العربي العلمي من جهة ، وعلى كتابة الأبحاث والمقالات فيه من جهة ثانية ، ثم على الإسهام في الندوات العلمية التي تقام حوله من جهة ثالثة . ولقد اتيح له ـ خلال هذه السنوات الست المذكورة ـ اقتناء الكثير من مؤلفات العرب في ميدان

العلم ، وقراءة الكثير منها ، واقتناء بطاقات مفهرسة حولها ، بلغ عددها الآلاف ...

إن ذلك كله قد يسر له الإطلاع على التراث العلمي العربي ، وعلى الإفادة منه ، والتأليف فيه ، ثم الإعجاب به إعجابا لا حد له ، لاسيما وهو يطلع عليه من خلال المؤلفات التي خلفها العلماء العرب ، ثم من قراءة ماكتب مؤرخو تاريخ العلم تقويما له كسارتون وميلي وبروكلمان وسيزكن .

ولقد كان هذا الكتاب في بادىء أمره مشروع بحث يقدم للندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب ، التي يقيمها معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ، بالإشتراك مع المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في القطر الكويتي الشقيق ، ثم تطور خلال إعداده ، والبدء بكتابة الصفحات الأولى منه ، فغدا هذا الكتاب ، الذي يأمل مؤلفه أن يكون حلقة في تعريف العرب ، ومحبي حضارتهم ، ودارسيها ، بجانب هام من التراث العربي العلمي .

حلب في الأول من ذي الحجة من عام 1402 هـ .

الموافق للثامن عشر من أيلول (سبتمبر) من عام 1982 م .

مقدمـــــة

النبات[1] : الحي النامي لا يملك فراق منشئه ويعيش بجذور ممتدة في الأرض أو في الماء . أو ما أخرجته الأرض من شجر ونحوه . والنبت : النبات ، والنباتي : الدارس لعلم النبات . وعلم النبات : علم يبحث في حياة النبات وتطوره وتفصيل أنواعه .

إن اهتمام الإنسان بالنبات قديم نظرا لوجوده الكثير حوله في الطبيعة ، وللإفادة منه في التدفئة ، والبناء ، والتغذية ، ومعالجة الأمراض .

ولقد كان مؤرّخو العلم بوجه عام ، وعلم النّبات بوجه خاصّ ، يرون أن عصور العلم عصران رئيسيان :

الأول :

العصر الإغريقي ، ويمتد من سنة 600 ق م إلى سنة 200م ، والثاني : عصر النهضة الحديثة ، التي تبدأ سنة 1450 م والتي نعيش فيها وفي فيضها في الوقت الحاضر[2]. إلاّ أنهم بهذا التقسيم والتحديد إنما أغفلوا عصرين هامين في تاريخ الحضارة : أولها عصر الحضارات الشرقية التي نشأت على أرض وطننا العربي ونعني بها الحضارات المصرية والبابلية والسومرية والآشورية .

وثانيهما :

العصر العربي الزاهر للحضارة العربية بعد الإسلام. وقد كان للمؤرخ الكبير جورج سارتون دوره الكبير في إعادة الاعتبار إلى هذين العصرين الأخيرين[3] ، إذ برهن على ان علم الإغريق امتداد لعلوم من سبقهم من الشعوب ، وأن للعلم العربي بعد الإسلام أهميته الذاتية ، وأثره الكبير في عصر النهضة . كما بين المستعرب الإيطالي ألدو ميلي ، في كتابه القيم (العلم العربي ودوره في التطور العلمي العالمي)[4] الدور العظيم الذي قام به العلم العربي في تاريخ الحضارة الإنسانية . ثم صدر في ربع القرن الأخير كتب ومقالات خاصة نخص منها بالذكر كتاب فؤاد سيزكن بالألمانية (تاريخ التراث العربي)[5] الذي صدر منه حتّى الآن ثمانية أجزاء تناولت مختلف جوانب التراث ، ومنها علم النبات[6] ، وكتاب (أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية)[7] لجماعة من المؤرخين المصريين ، وكتاب (عبقرية النهضة العربية ، مصدر النهضة)[8] وقد ألفه بالأنكليزية جماعة من المؤرخين العرب والمستعربين ، و (تاريخ الأدب العربي الأندلسي) للمستعرب الإسباني بالنثيا[9] وغيرهم .

أما فيما يختص بعلم النبات عند العرب فنشير إلى كتابي أحمد عيسي بك (تاريخ النبات عند العرب)[10] ، و (تاريخ التراث العربي) لفؤاد سيزكن المشار إليه سابقا ، ثم إلى مقالة (فلاحة) في دائرة معارف الإسلام في طبعتها الجديدة[11] التي كتبها جماعة من العرب والمستعربين ، والتي هي مقالات علماء النبات العرب الذين عرفت بهم هذه الموسوعة في طبعتها

القديمة ، وفي طبعتها الجديدة ؛ وإلى كتاب لوسيان لوكلير تاريخ الطب العربي بالفرنسية[12] ، وإلى كتاب ماير تاريخ علم النبات وهو بالألمانية [13]

ولدراسة تراث العرب في علم النبات ينبغي معالجة الموضوع من ستة أوجه :

الوجه اللغوي ، والوجه الطبي ، والوجه الفلاحي ، والوجه الجغرافي ، ثم التعريف بأعلام من علماء النبات العرب ، وتبيان موضوع التراث العربي النباتي في مسيرة الحضارة البشرية . وهذا ما سنفعله فيما يلي من هذا البحث .

هوامـش وتعليقـات :

(1) المعجم الوسيط : مادة نبت .

(2) الدكتور عبد الحليم منتصر ، تاريخ العلم ، دار المعارف بمصر 1973 ص 21 .

(3) لسارتون كتابه : مقدمة لتاريخ العلم .

Introduction to the History of Science 1927 1948

وهو باللغة الانكليزية ، وفيه قسم قيم عن الحضارات الشرقية ، وآخر عن الحضارة العربية بعد الإسلام . كما أصدر الجزء الأول من كتابه الكبير تاريخ العلم عام 1952 ويتناول العلم القديم والعلم اليوناني وقد ترجم إلى اللغة العربية في خمسة أجزاء .

(4) طبع اللغة الفرنسية في ليدن 1939 ، بعنوان :

A MIELI

La science Arabe, et son role dans l'évolution scientifique mondiale, Leiden 1939

وقد نقله إلى العربية محمد يوسف موسى ، وعبد الحليم النجار . وطبعت ترجمته بالقاهرة سنة 1381 و 1962 ، نشر دار القلم .

(5) عنوانه بالألمانية

Fuat Sezgin Geschschte Des Arabiechen Schrifttums Brille-Leiden — 1967 - 1978

وقد ترجم ثلث الجزء الأول وطبع بالقاهرة ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر . 1971 .

(6) تاريخ علم النبات في المجلد الرابع الصادر في عام 1971 .

(7) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة 1970 .

(8) عنوانه باللغة الانلجيزية

Genius of Arabe Civilisation,

Source Of Renaissance, New York 1975

وقد ترجمته وزارة الثقافة والارشاد بدمشق وطبع عام 1982 . وقسم النبات في النسخة الانكليزية اعتبارا من صفحة 155 .

(9) عنوانه بالاسبانية :

Angel Gonzalez Palencia

Historia de la literatura, Arabiqua - Espanula Madrid 1945

تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس . مكتبة النهضة العربية بالقاهرة 1955 .

(10) مطبعة الاعتماد . القاهرة 1363 هـ ـ 1944 م .

(11) في النسخة الفرنسية جـ 3 ص 920 ومابعد

Art. Filaha. dans

Ency. de l'Islam v III P. 920-932

(12) Lucien Leclerc, Histoire de la Medecine Arabe, Paris 1876

(13) Meyer, E. Geschische der Botanik Konigsberg 1856

الفصـــل الأول
عــلم النبــات العــربي

عرف العرب منذ القديم كثيرا من أنواع النبات في جزيرتهم العربية بما فيها من بواد ووهاد وأنجاد وأغوار وسهول ، كما عرفوا بعضها الآخر في الأقطار الأخرى التي سكنوها ، أو كانوا يرتادونها حوالي الجزيرة من بلاد العراق وفلسطين والأردن وبلاد الشام . عرفوها بحاجتهم الماسة إليها في غذائهم هم ، ومن أجل أن ترعاها ماشيتهم . لذلك شغلت هذه النباتات حيزا كبيرا من لغتهم وشعرهم ، واتصلت بهذه اللغة اتصالا وثيقا ، فدونت عندما دونت اللغة ، وحفظت في دواوينهم وأصبحت جزءا لا ينفصل عنها[14] .

ولما اختلط العرب بغيرهم من الأمم بعد الإسلام ، وفشا اللحن في كلامهم ، انطلقوا يدونون اللغة العربية مدفوعين بهذا الغرض ، وبغرض آخر هو ضبط معاقد القرآن والحديث ومعانيهما ، فدونوا فيما هو كالوسيلة إليهما[15] ، واللغة أول الوسائل إلى فهم القرآن، لذلك أخذوا في «جمع موادها ، وكان ، مما عنوا به وجدوا في تدوينه ، الزرع ، والنبات ، والشجر والكرم ، والعنب ، والبقل والنخل ، شأنها في ذلك شأن باقي حروف اللغة سواء بسواء[16] .»

بدأ التصنيف في اللغة في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري . وكان العلماء يقطنون في البصرة والكوفة والحيرة وبغداد . فأصبحت هذه المدن مقرا للعلماء الذين اشتغلوا بتقييد اللغة من جهة . ومقصدا للأعراف الوافدين عليها من البادية حاملين معهم صحيح اللغة وفصيحها الذين لم يتطرق إليه الفساد ، بعد الإختلاط بالأعاجم من الأمم الأخرى من جهة ثانية .

ولقد سمت لنا كتب التاريخ واللغة أسماء الكثيرين من هؤلاء الأعراب الذين وفدوا على العراق ، وأسماء العلماء الذين قصدوهم . فأخذوا عنهم . ونظرا لأهمية هذا الأمر ، وللدور الكبير الذي قام به الأعراب حاملي اللغة ، فإننا نسجل هنا أسماء بعضهم مبينينْ أنهم إنما عاشوا في القرنين الثاني والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين) . أشهرهم أبو مالك عمر بن كَرْكَرَة . وأبو زيد الكلابي . ويونُس بن حبيب . وأبو سوار الغَنويّ ، وأبو السَمْح . وأبو مِسْحَل عبد الوهاب بن جريش . وأبو ثَرْوان العُكليّ ، وابن مُحْكَم الشيباني . وأبو ضَمْضَم الكِلابيّ . والبهدليّ عمر بن عامر ، والحرماذيّ ، وأبو العُمَيْثِل عبد الله بن خُلَيد . وأبو خَيْرة نَهْشل بن زيد ، وابن أبي صُبح عبد الله بن عُمر المازني . والفَقْعَسي محمد بن عبد الملك الأسديّ[17] .

ولم يكن علماء اللغة ليكتفوا بما يدونون من أفواه هؤلاء الأعراب . بل إنهم كانوا كثيرا ما يرتحلون إلى البادية . للتحقيق والتمحيص . وسماع منطق العرب الفصحاء فيما أشكل عليهم لفظه أو ارتابوا في حقيقته . مما دون لديهم ، وفي لسان العرب أمثلة كثيرة على ذلك . فقد جاء في مادة

(عفَار) : «قال ابو حنيفة : أخبرني بعض أعراب السراة أمثلة أن العَفار شبيه بشجرة الغُبيراء الصغيرة ، إذا رأيتها من بعيد لم تشك أنها شجرة غبيراء ، ونَوْرُها أيضا كنورها ، وهو شجر خوّار ، ولذلك حاد للزناد . وجاء في مادة (السيكران) : قال أبو حنيفة : السَيْكران مما تدوم خضرته القيظَ كلّه ، وسألت شيخا من الأعراب عن السيكران فقال : هو السخر . ونحن نأكله رطْبا أيَّ أكل . وجاء في مادة (عتر) والعِتْر شجر صغار له جراء نحو جراء الخشخاش وهو المرزنجوش . وقال أعرابي من ربيعة : العِترة شجيرة ترتفع ذراعا ، ذات أغصان كثيرة ، وورق أخضر مدوّر كورق التنّوم . وجاء في مادة مصاح : قال الأزهريُّ ، رأيت في البادية نباتا يقال له المِصاح والثِّداء ، له قشور بعضها فوق بعض ، كلما قشرت أُمصوحة ظهرت أخرى ، وقشوره تقوى جدا[18] .)

دون علماء اللغة ، اللغة في المعاجم ، وفي كتب خاصة أخرى ، ودونوا في هذه الكتب ، في جملة ما دونوا ، كل ما يتعلق بأسماء النبات والشجر ، وخص بعضهم النبات بكتب خاصة . وها نحن أولا نسجل فيما يلي أسماء كتبهم، مشيرين إلى من ألّف في النبات كتبا خاصة .

هم : الخليل بن أحمد الفراهيديّ (المتوفي سنة 170 أو 180 هـ ، وله أربع وسبعون سنة[19]) وله كتاب العَيْن في اللغة «وهو يشتمل على جملة صالحة من أسماء النبات والشجر[20] .

والنَّضر بن شُمَيل التميمي المازني النحويّ اللغوي الأديب (المتوفي سنة 204 أو 203 هـ[21]) الذي ألف كتاب الصفات في اللغة في خمسة أجزاء يحتوي الجزء الخامس على الزرع والكرم والعنب وأسماء البقول[21] .

وأبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنّى التّيمي مولى بني تَيْم (المولود سنة 110 هـ أو 114 هـ والمتوفى سنة 203 أو 208 أو 209 أو 211 أو 213 هـ[22]) والذي له تصانيف كثيرة من بينها كتاب الزرع. والأصمعيّ أبو سعيد عبد الملك بن قُريب الباهلي (المولود سنة 122 هـ أو 123 والمتوفّى سنة 214 أو 216 أو 217 هـ[23]) وهو صاحب التصانيف الكثيرة في اللغة ومنها كتاب النبات والشجر، المطبوع في بيروت في عام 1908[24]، والذي يحوي مقدمة بسيطة في الكلام على النبات عامة، ثم ذكر أسماء النبات في حالاته من نمو وكثرة وقوام وازدهار، ثم تقسيم النبات إلى أحرار وغير أحرار، وإلى حَمِض وإلى خُلّة، ثم ذكر أسماء النبات الذي ينبت في السهل، والذي ينبت في الرمل من الشجر أو غيره وقد بلغ عدد أسماء النبات التي ذكرها نحوًا من مائتين وثمانين اسما[25]. وأبو زيد الأنصاري (المتوفى سنة 215 هـ بعد أن جاوز التسعين) وله كتاب النبات والشجر.

وأبو عبيد القاسم بن سلام (المولود سنة 154 هـ، والمتوفى سنة 223 أو 224 هـ[26]) الذي ألف كتاب غَريب المُصَنّف المقسم إلى أبواب تشرح الأسماء والصفات والأفعال، ثم إلى أبواب خاصة بالنبات منها باب أشجار الجبال، وباب ما ينبت في السهل وما ينبت في الرمل، وباب أثمار الشجر، وباب الكَمأة وباب الشجر المر، وباب الحَنْظل[27]. وأحمد بن حاتم الباهليّ (المتوفى ببغداد سنة 231 هـ وله نيف وسبعون سنة) وله كتاب الشجر والنبات، وكتاب الزرع والنخل[18]. وابن الأعرابي أبو عبيد الله محمد بن زِياد الكوفيّ (المولود سنة 150 هـ والمتوفى سنة 231 على أشهر الأقوال[28])، وله بين كتبه الكثيرة كتاب النبت والبقل، وكتاب النبات[28]. ومحمد بن حبيب (المتوفى سنة 245 هـ

بسامُرّاء[29]) الذي ألف كتابا في النبات . وابن السِكّيت أبو يوسُف يعقوب بن اسحاق (الذي مات سنة 243 أو 244 عن عمر بلغ 58 عاما) وله كتاب النبات والشجر[30] . وأبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشْمي السِجستاني (المتوفي سنة 255 هـ) الذي ألّف كتبا في النخل والزرع والنبات والعشب والخصب والقَحط[31] والسكريّ الحسن بن الحُسين بن عبيد الله ، (المتوفي سنة 275 هـ) وله كتاب النبات[31] .

وأبو حنيفة الدِّينوريّ أحمد بن داود بن دَنْفَر (المتوفّى سنة 282 هـ 985 م[32]) صاحب المؤلف الهام كتاب النبات ، الذي سنخصه ونخص صاحبه ببحث مفصل فيما يلي . والحافظ أبو موسَى سليمان بن محمد (المتوفى سنة 305 هـ[33]) صاحب كتاب الزرع والنبات والنخل وأنواع الشجر . وابن دُريد محمد بن الحسن الأزديّ البصريّ (المولود سنة 223 هـ والمتوفى سنة 321 هـ[34]) صاحب جَمْهَرة اللغة ، المشتمل على كثير من أسماء النبات نقلا عمن تقدمه من اللغويين على مثال ما ألف في المعاجم[34] . والمفجّع أبو عبد الله محمد بن أحمد (المتوفى سنة 327 هـ) وله كتاب الشجر والنبات[35] وابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد (المتوفى سنة 370 هـ) والذي لم تذكر كتب القدامَى أنّ له كتابا في النبات ، إلا أنه عثر على نسخ مخطوطة في النبات والشجر منسوبة له ، وقد طبعت في كتاب عام 1909 في ألمانيا[36] . والأزهريّ أبو منصور محمد بن أحمد الهَرَويّ (المولود سنة 282 هـ والمتوفى سنة 370 هـ) ، الذي ألف كتاب التهذيب في اللغة وهو من الكتب المختارة في أكثر من عشرة مجلدات ، ومن أوثق كتب اللغة ، والمرجع لمن ألف بعده من اللغويين كابن سِيدَة ، وابن منظور

والزُبَيْديّ[37] . والجوهريّ إسماعيل بن حمّاد ، (المتوفى سنة 393 هـ) صاحب تاج اللغة وصحاح العربية الذي اشتمل على الكثير من أسماء النبات مما صح عند المؤلف من اللغة[38] . وابن سيدة ، الحافظ أبو الحسن علي بن إسماعيل المُرسي اللغويّ النحوي الأندلسي الضرير (المتوفى سنة 458) وصاحب كتاب المُخَصَّص ، الذي هو في سبعة عشرة جزءا[39] ، مرتب على الأبواب ، وفيه أبواب كاملة تخص الأرض ونعوتها ، في كل ما يتعلق بها ، من خصب وجدب ورمال وخفوض ، وارتفاع واستواء وحرث وإمراع ، وإنبات وما يتعلق بها من جهة العشب والكلأ ونعوتها في القلة والتفرق ، ثم أبواب من الشجر من حيث أوصافها العامة من حيث كثرة ورقها والتفافها ، وإثمار الجشر والنبات ، وعيوب الشجر ، وأعيان النبات والشجر ، والبر ، والفاكهة وأنواعها ، والكرم وأجناسه ، وصفاته ، والنخل وانتساله ، وأبواب في أشجار الجبال والرمل ، وما ينبت على ماء أو قريبا منه ... وقد نقل كثيرا عن أبي حنيفة ، فهو لم يدع حرفا من كتاب النبات لأبي حنيفة إلا نقله ، عدا ما نقله عن غيره ،ممّن كتبوا في النبات والشجر[40] ، وقد فعل ابن سيدة ذلك في الجزئين العاشر والثاني عشر من الكتاب . والصَغَاني الحسن بن محمد بن الحسن (المولود بلاهور سنة 577 هـ والمتوفي سنة 650 هـ) وله الكتاب الهام (العباب الزاخر واللُباب الفاخر) ، الذي جمع فيه ما تفرق في كتب اللغة المشهورة والتصانيف المعتبرة المذكورة ، والذي حوى كتبا كثيرة في النبات والشجر[41] . وابن منظور محمد بن مُكَرَّم بن علي (المولود سنة 630 هـ والمتوفى سنة 711 هـ) وصاحب لسان العرب في اللغة الذي جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح وحواشيه والبداية والنهاية ، والذي يعد أجمع مصنف للغة العربية ، فلم يفضله كتاب في اللغة أوسع

مادة ، ولا أغزر علما منه ، والذي جمع فيه جميع ما صُنّف في النبات من كتب المتقدمين ، واستوعب كتاب النبات لأبي حنيفة وغيره من كتب النبات فلم يترك شيئا ، والذي يضم «من أسماء النبات ما لم ير مثله في مصنف آخر من مصنّفات النبات والشجر» . ومجد الدين الفيروزابادي (المولود سنة 729 هـ والمتوفّى سنة 816 هـ) ، وله من التصانيف (القاموس المحيط في اللغة) ، واللامع ، والمُعلم العُجاب الجامع بين المُحْكَم والعُباب . ولقد جمع في القاموس المحيط الكثير من أسماء النبات ، بحيث يزيد عن غيره من كتب اللغة بنقله أسماء النبات المعربة عن اليونانية أو غيرها وأكثرها مشروح شرحًا مقتضبًا[42] . ومُرتضى الزُبيدي مجد الدين أبو الفيض محمد بن محمد الشهير بمُرتضَى الحُسيني الزبيدي الواسطي (المولود باليمن عام 1145 هـ ، والمتوفّى سنة 1205 هـ) ، وله (تاج العروس في شرح القاموس) الذي فرغ من تأليفه عام 1181 هـ ، والذي شرح فيه القاموس شرحا وافيا ، استوعب فيه جملة ما استوعبه من المطولات وكتب اللغة ، وتذكرة الحكيم داود الأنطاكي والمنهاج والتبيان ، وكتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري ، وغير ذلك من كتب النبات ، والذي أتمه في عدة سنين في أربع عشرة مجلدة[43] .

وهكذا تكون كتب اللغة الخاصة بالنبات ، والمعاجم قد حوت ما يتعلق بهذا العلم . وقد كانت الكتب الأولى منها خاصة بما عرف العرب في جاهليتهم من أسماء النبات والشجر، ثم أخذت بعد ذلك تضم الألفاظ المعربة ، والدخيلة ، والتي عرفها العرب بعد الإسلام ، وبعد أن انساحوا في البلاد التي فتحوها . إن المخصص لابن سيدة يمثل كتب النوع الثاني ،

بينما يمثل كتاب أبي حنيفة الدينوري في النبات كتب النوع الأول ، وها نحن أوّلاً نقدم تعريفا مفصّلاً بهذا العالم وبكتابه .

أبو حنيفة الدِّينوريّ وكتابه في النبات

يحتل أبو حنيفة الدينوري مكانة هامة وخاصة بين علماء العرب الذين اهتموا بالنبات ، وتركوا كتبا خاصة فيه . وإنما استحق أبو حنيفة هذه المكانة لأسباب كثيرة أهمها : المؤلفات الكثيرة التي تركها والتي بلغ عددها واحدا وعشرين كتابا[44] تناولت تفسير القرآن ، والفقه ، والمنطق ، والرياضيات ، والأدب ، واللغة والبلاغة ، والأنواء ، والفلك ، والتاريخ . ثم وفرة المصادر التي تحدثت عنه والتي بلغ عددها أكثر من خمسين بحثا باللغات العربية والأجنبية[45] . والقيمة التي يحملها كل من كتابيه في التاريخ (الأخبار الطوال) . وفي النبات ، الذي استطاع في أولهما أن يكتسب نبوغا ممتازا في تصوير الحوادث التاريخية بأسلوب عربي مبين ، وبطراز فريد في المنهج التأليفي[46]) إنه أسلوب منطقي يخاطب العقل ويستهوي القارىء ، في لفظ سهل، وجرس موسيقي متلاحق، وعبارة متّصلة أخاذة، نسجها الدينوري نسجا فريدا[47] .»

أما كتابه في النبات الذي وصلنا قسم منه ــ الجزء الثالث والجزء الخامس[48] ــ فقد كان موضوعه الرئيسي معجميًا ، يرمي إلى جمع كل الأقوال والروايات الممكنة الشخصية والمكتوبة حول الأسماء والتعبيرات

المستعملة في علم النبات ، وحياته ، تلك التي وفرها لنا الشعراء ، أو المختصون بلغة البادية [49] . وقد ذكر أبو حنيفة أسماء الذين أفـاد من كتبهم ، كما ترك كتابه الأثر الكبير في كل من تلاه من علماء اللغة . ومصنّفي المعاجم ، حتّى صار عمدتهم ، فما منهم إلا ونقل عنه سواء منهم من كان لغويا أم عشّابا أم طبيبا . إننا نجد نقولا كثيرة من كتاب الدينوري في أشهر كتب اللغة كالجمهرة لابن دريد ، والتهذيب للأزهري وكتاب النبات والشجر لابن خالويه ، والصحاح للجوهري ، ولسان العرب لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي ، كذلك نقل عنه جامعو كتب المفردات الطبية ككتاب الجامع لمفردات الأدوية لابن البيطار الذي نقل عنه نحوا من مائة وثلاثين حرفا . [50]

ويمثل كتاب ابن البيطار في النبات المؤلفات العربية التي لم تتأثر باليونانية [51] ، ويقارن عادة بكتب من سبقه من اليونان ككتاب ديوسقوريدس Materia Medica الذي غايته تسهيل مهمة الصيادلة . أما كتاب أبي حنيفة فيبدو نابعا من إعجاب وغبطة بكثرة أنواع النباتات في الطبيعة وأشكال تواجدها [52] ، حيث لا يقل كتاب الدينوريّ عن نظيره اليوناني . إن أبا حنيفة في كتابه عالم تجريبي بالمعنَى الدقيق لهذه الكلمة ، يحرر أوصاف النبات من كل تنظير ، وتنبع أوصافها لديه من العلاقة العلمية لابن الصحراء البدائي الطبيعة ، بحيث أنه « لا يمكننا أن نجد تجريبيا بهذا النقاء لدى أدبيات الشعوب الأخرى ، التي مرت عليها أحوال مختلفة [53] . » وهكذا تتمازج في كتاب الدينوري حول النبات كل من الفيلولوجية وعلم النبات بطريقة لافتة للنظر ، وتتعارض وإياها ، إذ يتم التلاحم فيخرج عملا عمليا لا يمكن أن يفهم في خصوصياته إلا بالتأمل الدقيق لعلاقات الحضارة العربية [54] .

إن الذي وصلنا من كتاب الدينوري المرتب على حروف الهجاء نصف الكتاب الخامس ، (من حرف أ إلى حرف ز) ، وفيه صنف أسماء النبات على حروف المعجم . قال أبو حنيفة :

«قد أتينا فيما قدمنا من أبواب كتابنا هذا على ما استحسنا تقديم ذكره قبل ذكر النبات نبتا نبتا ، فلم يبق إلا ذكر أعيان النبات . ونحن آخذون في تسميتها ، ومحلّون كل واحد منها بما انتهى إلينا من صفته أو شاهدناه ، وإن كان في شيء من ذلك اختلاف مما يرى أنه ينبغي أن يذكر ذكرناه إن شاء الله . وجعلنا تصنيف ما نذكر منها على أوائل حروف أسمائها وإن اختلط جل الشجر فيه بدقة ، واختلط أيضا الشجر بالأعشاب وبقلها وجنبتها (الشجيرة) ، وغير ذلك من أصنافها التي جنّسناها فيما سلف وصنفناها ، لأن وصفنا إياها نبتا نبتا ، سيلحق كل واحد منها بجنسه عند من فهم عنا ما قدمنا وما أخرنا . وإنما آثارنا هذا التصنيف على توالي حروف المعجم لأنه أقرب إلى وجدان المطلوب . وأهون مؤونة على الطالب من كل تصنيف سواه.[55] » .

ورغبة في تعريف القارئ بكتاب أبي حنيفة ، نورد هنا بعضا مما جاء في هذا الكتاب[56] : يقول الدينوري عن (الأراك) : «واحدته أراكة : أفضل ما استيك بفرعه ، وبعرقه من الشجر ، وأطيب ما رعته الماشية رائحة لبن . ويضيف نقلا عن أبي زياد الأعرابي : الأراك من العضاه ، وليس يخالفه في ذلك أحد لا من ذهب إلى ان العضاه ما عظم من الشجر أيٍّ شجر كان ، ذا شوك وغيره ، ولا من ذهب إلى أن العضاه ما عظم من الشجر ذي الشوك خاصة ، ولا من زعم أن العضاه جميع الشوك ، ما عظم منها وما صغر ، لأن الأراكة قد جمعت العظم والشوك

جميعا . قال : وقد تكون الأراكة دوحة واسعة محلالا ، والمحلال التي يحل الناس تحتها لسعتها . وللأراك ثلاث ثمرات : (العَرد ، والكَباث ، والبرير) والعرد أشده رطوبة ولينا ، والكباث ضخام يكاد يشبه التين . والبرير كأنه خرز صغار ، وكل هذا يأكله الناس والإبل والغنم ، وفيه حرارة على اللسان ، ومنابت الأراك بطون الأودية . وربما نبت الأراك في الجبل ، وذلك قليل ، وللأراك شويكة قليلة فرقة ، ونقل عن الأصمعي رأيه في الثمرات الثلاث : أن العَرْد الغض والكباث، والبرير يجمعها .

«وقال عن الأسْحلِ :شجر يشبه الأثل، يغلظ كما يغلظ الأثل. ومن لا يعرفها لا يكاد يفرق بينهما ، ومنابت الأسحل منابت الأراك في السهول ، وهو أيضا يُستاك بقضبانه ، وخشب الأسحلِ أصلب من شجر الأراك ، فالأراك خوّار قَصِف ، ولذلك اتخذت الرماحُ من الأسحل . ولونه غير لون الأراك ، في خضرة إلى البياض ، وقضبان الأسحل سمر إلى السواد ، يقول : هو من العضاه عند أبي زياد بن الأعرابي . وأورد في وصفه شعرا لذي الرمّة والهذلي والجعْديّ والعجّاج وامرئ القيس .

« وقال عن الأُقحوان : الواحد أقحوانة ، وهو البابونج ، وهو طيب الريح على كل حال : ورقة وزهرة وله زهرة بيضاء صافية البياض .

« وقال عن الآس : واحدته آسة ، وهو بأرض العرب كثير ، ينبت في السهل والجبل ، وخضرته دائمة أبدا ، يسمو حتّى يكون شجرا عظاما ، وله ورقة بيضاء ، طيبة الريح . وثمرة تسودّ إذا أينعت وتحلو ، وفيها مع ذلك عُلَيْقِمَة » .

وعلى هذا النحو ، وبهذه الطريقة الأدبية الماتعة ، يصف أبو حنيفة

الدينوري بضع مئات من النباتات : بعضها مما رآه هو نفسه ، والآخر مما نقله عن الثقات من اللغويين الذين قدمنا أسماءهم مثل ابن الأعرابي والأنصاري والأصمعي وغيرهم .

ومن المؤكد أن أبا حنيفة « نباتي عربي أصيل ، حتّى في مصادره ، فهو لم يذكر كغيره من المتأخرين أمثال ديوسقوريدس وجالينوس وأبقراط ، إنما اعتمد في روايته على المصادر العربية الأصيلة[57] » . كذلك لم يعر اهتمامه الناحية الطبية من النبات ، ولكن مر بها مر الكرام ، فهو نباتي عربي فحسب ، «وليس نباتيا طبيًا كابن البيطار أو ابن سينا .أو البغدادي .[57] » .

وعلى الرغم من هذه المكانة الهامة التي يحتلها الدينوري في تاريخ علم النبات العربي ، ومن كونه «شيخ النباتيين العرب على الإطلاق[58] » ، فإننا لا نعرف الكثير من تفاصيل حياته ، التي نوجزها فيما يلي :

فهو أبو حنيفة أحمد بن داود بن وَنَنْد ، ويسمّى أيضا أبا عبد الله بن علي العشّاب[59] . ينسب إلى دينور وهي من أهم مدن الجبال في العصور الوسطى ، ومكانها وفق ما جاء في الخريطة التي أعدها شتراوس Strews على خط طول 48 شرقي غرينتش ، وعلى خط 34° شمالا ، على ارتفاع نحو خمسة آلاف قدم ، وتقع على الطرف الشرقي لواد خصيب ، يرويها نهر آب دينور ، الذي يسير في الركن الجنوب الغربي للهضبة ، ثم ينفرج في واد عريض . وقد عرفت في أيام معاوية بن أبي سفيان بالإسم الجديد (ماه الكوفة) ، وازدهرت ازدهارا كبيرا في عهد الأمويين والعباسيين . ولقد حل بها الخراب من جراء الإضطرابات التي حدثت في السنين الأخيرة من عهد المقتدر بالله الخليفة العباسي ثم لاقت مصيرها المحتوم ، في الخراب

الذي نزل بالبلاد العربية الإسلامية عقب الغزوات المغولية التي شنها تيمورلنك[60]) . ويقول عنها ياقوت : «مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين ، ينسب إليها خلق كثير ، وبينها وهمذان نيف وعشرون فرسخا ، وهي كثيرة الثمار والزروع ولها مياه ومستشرف[61] » .

ولد أبو حنيفة في دينور هذه في العقد الأول من القرن الثالث الهجري . وعاش معظم حياته فيها ، وأمضى شبابه في الرحلات التي قادته إلى قلب الحضارة العربية ، في بلاد ما بين النهرين والفرات ، ثم امتدت به أسفاره إلى المدينة المنورة وإلى فلسطين ، وإلى شواطئ الخليج العربي . ولقد عاش فيها أزمانا ، طالت أو قصرت وتركت في نفسه ذكرا ، وفي فكره علما .

أخذ دروسه عن البصريين والكوفيين ، وتتلمذ في فقه اللغة على العالم النحوي الكوفي السكّيت وعلى ولده ابن السكّيت نفسه ، ودرس معارف كثيرة ، جعلت منه دائرة معارف عصره ، ودفعته إلى التأليف في النحو واللغة والهندسة والهيئة والحساب والنبات والتاريخ .

انتقل إلى أصفهان سنة 335 هـ (850 م) وعاش بها مدة ، واشتغل برصد الكواكب ، وسجل نتائج الأرصاد التي قام بها في معمله الفلكي الذي كان يقيمه في بيته والذي شاهده الفلكي المشهور ، عبد الرحمن الصوفي المتوفّى سنة 376 هـ (986 م)[62] .

أما وفاة أبي حنيفة الدينوري فقد كانت في أوثق الروايات يوم السادس والعشرين من جمادي الأولى سنة 282 هـ ، (الرابع والعشرين من تموز ـ يولية 895 م[63]) .

هوامش وتعاليقات

(14) أحمد عيسَى بك . تاريخ النبات عند العرب . مطبعة الإعتماد . القاهرة 1363 ـ 1944 م ص 8

(15) حاجي خليفة . كشف الظنون ج 1 ص 22

(16) أحمد عيسَى بك . المصدر السابق ص 9

(17) ابن النديم في الفهرست ص 42 وما بعدها . وأحمد عيسى بك . المصدر السابق . ص 10 و 11

(18) لسان العرب . وأحمد عيسَى بك . المصدر السابق ص 11

(19) ياقوت الحموي . معجم الأدباء ج 4 ص 183 . وأحمد عيسى بك . المصدر السابق ص 12 و 13

(20) أحمد عيسَى بك . ص 13

(21) أحمد عيسَى بك ص 13 نقلا عن معجم الأدباء . والفهرست

(22) أحمد عيسَى بك ص 14 نقلا عن معجم الأدباء لياقوت . والفهرست لابن النديم .

(23) أحمد عيسَى بك المصدر السابق ص 14

(24) طبعة أوغست هفنر August Hoffner والأب لويس شيخو .

(25) أحمد عيسَى بك المصدر السابق ص 16 .

(26) أحمد عيسَى بك . المصدر السابق ص 17 نقلا عن ابن خلكان في وفيات الأعيان . وياقوت في معجم الأدباء .

(27) أحمد عيسَى بك المصدر السابق ص 18 نقلا عن الفهرست لابن النديم ص 56

(28) أحمد عيسَى بك المصدر السابق ص 19 ، نقلا عن ياقوت في معجم الأدباء . وابن خلكان في وفيات الأعيان .

(29) أحمد عيسَى بك . المصدر السابق ص 19 و 20

(30) أحمد عيسَى بك . المصدر السابق ص 20 نقلا عن ياقوت في معجم الأدباء . وابن خلكان في وفيات الأعيان .

(31) أحمد عيسَى بك . المصدر السابق ص 20 نقلا عن معجم الأدباء . والوفيات

(32) أحمد عيسَى بك . المصدر السابق ص 21 ـ 24

(33) أحمد عيسَى بك . المصدر السابق ص 24

(34) أحمد عيسى بك ، المصدر السابق ص 25 ـ 26

(35) أحمد عيسى بك ، المصدر السابق ص 26 ؛ وابن النديم ، الفهرست ص 83

(36) أحمد عيسى بك ، المصدر السابق ص 27 ، وقد أشرف على تحقيقها وطبعها صامويل ناغلبرغ S. Negelberg

(37) أحمد عيسى بك ، المصدر السابق ص 27 و 28

(38) أحمد عيسى بك ، المصدر السابق ص 29

(39) مطبعة بولاق سنة 1316هـ

(40) أحمد عيسى بك ، المصدر السابق ، ص 30 و 31 . وعبد الحليم منتصر ، المصدر السابق ، ص 222 و 223 .

(41) أحمد عيسى بك ، المصدر السابق ص 31 و 32 . وبغية الوعاة للسيوطي .

(42) أحمد عيسى بك ، المصدر السابق ص 33 و 34 . وقد طبع القاموس طبعات كثيرة في أربعة أجزاء يضمها مجلدان .

(43) أحمد عيسى بك ، المصدر السابق ص 34 وقد طبع أولا في أربع عشر مجلدة . ويطبع الآن في الكويت وقد صدر منه حوالي خمسة وعشرين مجلدا .

(44) نجد ثبتا كاملا بها في أنباء الرواة على أبناء النحاة للقفطي . ولدى فلوغل
Die Grammatischen Schulender Araber
ليبسك 1862 ص 190 وما بعد .

(45) أهمها الفهرست لابن النديم ص 87 . وبروكلمان تاريخ الأدب العربي الجزء الأول ص 123 . ودائرة معارف الإسلام في طبعتيها القديمة (النسخة الفرنسية ج 1 ص 1004) والجديدة (النسخة الفرنسية المجلد الثاني ص 308) . وكشف الظنون لحاجي خليفة في أماكن كثيرة متفرقة ، وكتاب عن أبي حنيفة بقلم سيلبيربرغ هو رسالة دكتوراه منشورة في Zeiter fur Assysologie المجلد 24 ، 1910 ، ص225 ـ 265 والمجلد 25 ، 1911 ، ص 39 ـ 88 . وتاريخ التراث العربي لفؤاد سيزكن . ومقدمة كتاب الأخبار الطوال لعبد المنعم عامر وتاريخ النبات عند العرب للدكتور أحمد عيسى بك ص 21 . ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج1 ص218 . والعلم العربي لألدوميلي .

(46) عبد المنعم عامر ، مقدمة كتاب الأخبار الطوال ص ف . طبعة دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة 1960

(47) عبد المنعم عامر ، المصدر السابق ص ث

(48) طبع بتحقيق ب لفن ، منشورات جامعة ابسالا . الجزء العاشر لعام 1953 . أما الثالث .

والنصف الأول من الجزء الخامس . فقد نشره ب. لفن أيضا بعد تحقيق وشرح في مكتبة لبنان بيروت 1394هـ . 1974م .

(49) ب. لفن . مقالة الدينوري في دائرة معارف الإسلام . النسخة الفرنسية من الطبعة الجديدة . المجلد الثاني ص 309 .

(50) أحمد عيسى بك . المصدر السابق ص 22 و 23

(51) لوسيان لوكلير . تاريخ الطب العربي بالفرنسية ج 1 ص299 . وهو مطبوع بباريس سنة 1871 وفؤاد سيزكن تاريخ التراث العربي . المجلد الرابع ص 338 . وهو مطبوع بألمانيا سنة 1971 .

(52) فؤاد سيزكن . المصدر السابق ص339 نقلا عن سيلبربرغ المصدر السابق المجلد الخامس والعشرون 1911 ص44 .

(53) فؤاد سيزكن المصدر السابق ص340 . نقلا عن سيلبربرغ المصدر السابق ص 50 .

(54) فؤاد سيزكن المصدر السابق ص 340 . نقلا عن سيلبربرغ المصدر السابق ص 53 .

(55) نقلا عن عبد الحليم منتصر المصدر السابق ص186 . وهو ينقل عن الكتاب دون أن يذكر المرجع . ونأسف لأننا لم نتمكن من الإطلاع على القسم الأول مما نشره ب. لفن من كتاب أبي حنيفة عام 1953م .

(56) نقلا عن عبد الحليم منتصر . المصدر السابق ص 187 و 188

(57) عبد الحليم منتصر . المصدر السابق ص191 .

(58) عبد الحليم منتصر . المصدر السابق 1869

(59) أحمد عيسى بك . المصدر السابق ص21 .

(60) دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية المجلد التاسع مادة دينور وتنظر كذلك مقدمة كتاب الأخبار الطوال للدينوري . تحقيق عبد المنعم عامر ص(د) و (هـ) .

(61) معجم البلدان لياقوت طبعة دار صادر دار بيروت ص 545 .

(62) ملخص من مقالتي (الدينوري) في دائرة معارف الإسلام في طبعتها القديمة والجديدة . ومن المقدمة التي كتبها عبد المنعم عامر لكتاب الأخبار الطوال . والفهرست لابن النديم ص78 ومعجم الأدباء ج3 ص26 و 32 .

(63) دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية . المجلد التاسع ص 375 . والطبعة الجديدة من الموسوعة نفسها النسخة الفرنسية ج3 ص308 . وابن النديم يحدد سنة وفاته بسنة 281 .

الفصل الثاني
النبات والطب

علاقة النبات بالطب علاقة قديمة ، ولا تزال مستمرة حتّى هذه الأيام ، على اعتبار أن كثيرا من الأدوية ذات منشأ نباتي وتسعة أعشار العقاقير التي كانت تستعمل في العلاج إنما هي نباتات أو خلاصات نباتية. لذلك كان للطب أثره في علم النبات ، ونشأ نتيجة لذلك ما يمكن أن يسمّى الطب النباتي ، أو النباتات الطبية ، وكان يلزم عن ذلك كتابة كتب كثيرة في العقاقير الطبية النباتية ، وكان لا بد أن تعالج النباتات في أقسام الأدوية من كتب الطب العامة . لذلك خصصنا هذا الفصل للحديث عن التراث العربي النباتي المتعلق بالطب ، وسنلم فيه بالكتب الطبية العامة التي كان فيها حديث عن النبات ، وبالكتب التي خصصت للنباتات الطبية ، أو ما كان يسمّى (بالمفردات الطبية)[65] .

والطب من العلوم التي اهتم بها العرب اهتماما بالغا قبل الإسلام وبعده ، اهتموا به قبل الإسلام لحاجتهم الماسة إليه ، وبعد الإسلام عملا بحديثين مرويين عن النبي (ص) يقول أولها : « العلم علمان : علم الأديان ، وعلم الأبدان[66] ويقول الآخر : يا عباد الله تداووا ، فإنّ الله عز وجلّ لم يضع داءً إلّا وضع له دواء ، إلّا واحدا وهو الهرم[65] » .

ولقد عرف العرب الطب قبل الإسلام . واشتهر من أطبائهم الحارث بن عَلْقمة بن كَلَدة الثقفي الذي عاش حتّى ظهور الإسلام . وابنه النَضْر بن الحارث ، وأبي رمتة التميمي . وعرف من أطباء العصر الأموي عبد الملك بن أَبْحر الكناني . وكان عمر بن عبد العزيز يستطبه ويعتمد عليه ، وابن آثال ، وكان طبيب معاوية بن أبي سفيان . وكان خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة وقواها[67] . كما كان هناك بعض الأطباء من أصل رومي مثل ثياذوق Theodokos الطبيب الفاضل في صناعة الطب وقد صحب الحجاج بن يوسف وله كتاب (أبدال الأدوية وكيفية دفعها وايقاعِها)[68] .

ثم بدأت صلة العرب بتراث الأمم التي عرفوها وذلك عن طريق الترجمة التي بدأها خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الذي كان «بصيرا بالطب والكيمياء . ويسمّى حكيم آل مروان . وكان فاضلا في نفسه وله همة ومحبة للعلوم . فأمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان ينزل مدينة مصر ، وقد تفصح بالعربية . وأمرهم بنقل الكتب من اللسان اليوناني أو القبطي إلى العربي . وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة[69] . »

ونشأ نتيجة لذلك معرفة العرب بالطب الأجنبي . وباليوناني منه خاصة . كما عرفوا الكتب التي تعالج الأدوية المفردة والعقاقير . ومن بينها النباتات . فقد ألف عيسَى بن قسطنطين الأسكندري كتابا في الأدوية المفردة[70] ، وألف (ماسَرْجَويه) البصري (كتاب قوى العقاقير ومنافعها ومضارها)[71] ، وقد عاش في زمن عمر بن عبد العزيز ومروان وتولى ترجمة الكتب اليونانية إلى العربية . كما ترجم خاصة الجزء الثاني من كتاب

(الأدوية المفردة لجالينوس) ، وهو ست مقالات ، أصلحه حنين بن أسحق بعد ذلك[72] .

ثم ازدهرت الترجمة زمن بني العباس بدءًا من أيام الخليفة المنصور (حكم من عام 136 إلى عام 158 هـ) وعد من التراجمة : البَطريق ، وحُنين بن اسحق ، وأبو زكريا يُوحنّا بن ماسويه (توفّي سنة 243 هـ) . وله كتاب في تركيب الأدوية المسهلة وإصلاحها . وإنما كان أهم ازدهار للترجمة أيام الخليفة المأمون الذي «أقبل على طلب العلم من مواضعه ، واستخرجه من معادنه ، وداخل ملوك الروم ، وسألهم صلته بما لديهم من كتب العلم ، فبعثوا إليه بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطاطاليس وأبقراط وجالينوس وغيرهم ، واستجاد لها مهرة التراجمة ، فترجمت له على غاية ما أمكن من الإحكام[73] .»

وكانت الكتب التي لها علاقة بالنبات ، وبالناحية الطبية منه ، في جملة ما ترجم في ذلك الوقت . فقد ترجم اصطفْن بن بسيل (كتاب الأدوية المستعملة لاوريباسيوس) ، وكتاب (المادة الطبية Materia Medeca لديوسقوريدس الذي عرف أحيانا باسم (كتاب الحشائش) ، وباسم (كتاب ديوسقوريدس في هيولي علاج الطب) ، وقد تمت أول ترجمة له في عهد المتوكل على الله (أواسط القرن الثالث الهجري ــ أواسط القرن التاسع الميلادي) ، كما ترجم هذا الكتاب مرة أخرى في الأندلس ، نظرا لعدم استيفاء اصطَفن الأسماء العربية كلها ، لعدم معرفته ما يقابل اليونانية منها ، لذلك ترك أسماء النبات اليونانية بلفظها الأصلي آملا أن يأتي بعده من يتم ذلك ، وهذا ما فعله

حُنين بن اسحاق ـ حين أصلح تلك الترجمة ـ وعرّب بعضًا من أسماء النبات التي أهمل اصطفن تعريبها[73] .

ولا بد لنا من وقفة خاصة عند كتاب ديوسقوريدس هذا ، لأنه ترجم مرتين كما أسلفنا ، وترك أثره في جميع كتب الأدوية ، وكتب النباتات الطبية .

برانيوس ديوسقوريدس[74] طبيب يوناني من كيليكيا ـ عاش في القرن الأول الميلادي ـ وتنقل مع الجيش الروماني جرّاحا ـ وجمع خلال أسفاره معلومات عن العقاقير ، كانت مادة كتابه الذي ألفه باليونانية باسم Materia Medica والذي عني العرب به عناية خاصة . فترجموه ـ ووجدت نسخ كثيرة من مخطوطات ترجمته مزينة بالصور الملونة[75] . وتحمل عناوين مختلفة : (كتاب الحشائش أو هيولي علاج الطب ـ أو كتاب الأدوية المفردة لديوسقوريدس العين زربي[76]) . وكان علماء اليونان والرومان قد عنوا به وأخذوا عنه إذ نقل عن جالينوس قوله : « تصفحت أربعة عشر مصحفا في الأدوية المفردة فما رأيت أتم من كتاب ديوسقوريدس[77] » ، وقال يحيى النحوي الاسكندراني فيه « تفديه الأنفس ، صاحب النفس الذكية ، النافع للناس المنفعة الجليلة ـ المتعوب ، المنصوب السائح في البلاد ، المقتبس لعلوم الأدوية المفردة من البراري والجزائر والبحار ، والمصدر لها ، والمجرب ، المعدد لمنافعها ـ قبل المسألة عن أفاعيلها ، حتّى إذا صحت عنده بالتجربة ، فوجدها قد خرجت بالمسألة ، غير مختلفة عن التجربة ، أثبت ذلك وصوره من مثله . وهو رأس كل دواء مفرد ، وعنه أخذ جميع من جاء بعده ، ومنه ثقفوا

على سائر ما يحتاجون اليه من الأدوية المفردة ، فطوبَى لتلك النفس الطيبة التي شقيت بالتعب من محبتها لإيصال الخيرات الى الناس[78] . »

وكتاب ديوسقوريدس هذا خمس مقالات ، وقد تلحق بها مقالتان في سموم الحيوان تنسب إليه فيندو سبع مقالات .

فالمقالة الأولى : تشتمل على ذكر أدوية عطريّة الرائحة ، وأوفاديه أو أدهان ، وصموغ ، وأشجار كبار .

والمقالة الثانية : تشتمل على ذكر الحيوان ، ورطوباته ، والحبوب ، والقطاني ، والبُقول المأكولة والبقول الحَريفة ، وأدوية حريفة .

والمقالة الثالثة : تشتمل على ذكر أصول النبات وعلى نبات شوكي ، وعلى بروز ، وصموغ ، وعلى حشائش زهرية .

والمقالة الرابعة : تشتمل على ذكر أدوية أكثرها حشائش باردة ، وعلى حشائش مسهلة ومقيئة ، وعلى حشائش نافعة من السموم .

والمقالة الخامسة : تشتمل على ذكر الكرم ، وأنواع الأشربة ، وعلى الأدوية المعدنية[79] .

ولما كانت الترجمة الأولى لكتاب ديوسقوريدس غير وافية وفيها أسماء نباتات كثيرة باليونانية ، فقد قدر للكتاب من يفسر أسماء الأدوية المفردة فيه ، ويفصح عن مكنونها ويوضح مستغلق مضمونها[80] ، وهو ابن جُلْجُل «أعظم نباتي أندلسي ظهر في عصر الخلافة[81] » والذي كان طبيب الخليفة هشام المؤيد الذي يقول : «وكان لي في معرفة تصحيح (هيولي الطب) الذي هو أصل الأدوية المركبة حرص شديد ، وبحث

عظيم ، حتّى وهبني الله من ذلك بفضله بقدر ما أطلع عليه من نبيّ ، من إحياء ما خفت أن يدرس ، وتذهب متعته لأبدان الناس[82] » .

وقد تعاون ابن جُلْجُل مع جماعة من الأطباء والعلماء الذين ضم ببحثهم عن أسماء كتاب عقاقير كتاب ديوسقوريدس «تصحيح الوقوف على أشخاصها بمدينة قرطبة خاصة بناحية الأندلس ، ما أزال الشك فيها عن القلوب ، وأوجب المعرفة بها بالوقوف على أشخاصها وتصحيح النطق بأسمائها ، بلا تصحيف إلا القليل منها الذي لا بال به ، ولا خطر له . وذلك يكون في مثل عشرة أدوية[83] » .

وقد عثر على نسخ مخطوطة من ترجمة اصطفن بن باسيل فوجدت مفرداتها كما ذكر ابن جُلْجُل أكثرها يونانية معربة ، وقلما يوجد فيها اسم عربي . وقد أورد الدكتور أحمد عيسَى بك في كتابة تاريخ النبات عند العرب قائمة بأسماء النباتات كما عربها اصطفن ، وما يقابلها باليونانية . مما يبين صدق قول ابن جُلْجُل وحسن تقديره[84] .

وقد قام آخرون بنقل كتب النبات والأدوية المفردة إلى اللسان العربي ، قام بعضهم بالترجمة وبعضهم الآخر بالتأليف . خص بعضهم النباتات الطبية بكتب ، وجعل آخرون هذه المفردات فصولا من كتبهم في الطب وها نحن أوْلاء نذكر أشهرهم .

سأبور بن سَهل : الذي كان متقدما عند المتوكل وغيره وتوفي في أيام المهتدي بالله في سنة 255 هـ وله تصانيف كثيرة منها كتاب (الأقرباذين) الكبير المشهور بفصاحته ، والذي ترجم وألف كثيرا من المصنفات عشرة منها خاصة بالنبات والأدوية المفردة[85] هي : (كتاب في قوى الأدوية

المسهلة) ، و (كتاب في الأدوية المفردة) ، و (كتاب في تركيب الأدوية) ،و(اختصار كتاب جالينوس في الأدوية المفردة) ، (وكتاب في أسماء الأدوية المفردة على حروف المعجم) ، و (كتاب في أسرار الأدوية المركبة) ، و (كتاب في اختيار الأدوية المحرقة) ، و (كتاب الفلاحة) ، و (كتاب النبات المنسوب لأرسطو) . وحُبيش الأعصم ابن أخت حنين بن اسحاق ومنه تعلم صناعة الطب ، وله : (كتاب جالينوس في الأدوية المفردة ، وكتاب إصلاح الأدوية المسهلة ، وكتاب التغذية[87]) و (إسحاق بن حنين بن اسحاق) المتوفّى في سنة 298 هـ ــ 910م وله (كتاب الأدوية المفردة ، وكتاب الأدوية الموجودة بكل مكان ، وكتاب في الأدوية المفردة ، وكتاب إصلاح الأدوية المسهلة ، وتخريج كتاب النبات لأرسطو تفسير نيقولاوس[88]) ، و (أبو الحسن ثابت بن قُرّة الحراني) (211 ـ 288 هـ ــ 901م) ، وله (جوامع كتب الأدوية المفردة لجالينوس[89]) .

ثم نصل إلى كبار الفلاسفة والأطباء العرب كالكندي فيلسوف العرب المشهور المتوفّى في أواخر القرن التاسع الميلادي ، والذي له : (كتاب جوامع الأدوية المفردة لجالينوس ، وكتاب الأدوية الممتحنة، وكتاب الأقرباذين[90]) . والرازي عظيم الأطباء العرب المتوفي سنة 320 هـ ــ 932م ، صاحب المؤلفات التي يبلغ عددها نحوا من مائتي مصنف ، منها ما يتصل بالنبات : (كتاب الأدوية الموجودة بكل مكان) ، و (كتاب الحاوي في الطب) الذي يشمل على قسم عظيم في النبات والمفردات الطبية من إثني عشر قسما ، و (كتاب في قوى الأغذية والأدوية) ، و (كتاب الأقرباذين) وغيرها[91] . وابن مِسكويه المتوفّى سنة 421 هـ ــ 1030 م

وله (كتاب في الأدوية المفردة[91]) ، وأبو الريحان البيروني العالم المشهور المتوفي سنة 430هـ 1039م ، الذي له (كتاب الصيدلة في الطب)[92] .

أما الشيخ الرئيس علي بن سينا (370 ـ 428هـ) فآثاره كثيرة[93] ، وللنبات كتاب من (الشفاء) ، والكتاب الثاني من (القانون) المخصص للأدوية المفردة ، وهو على ترتيب أبجدي ليسهل بها التقاط منافع كل دواء ، فذكر أولا ماهية الدواء ، ثم اختياره ، ثم الأفعال ، والخواص . وأخذ ابن سينا عن ديوسقوريدس وجالينوس واريبازيوس وماسرجويه وحنين وابن جريج[94] .

ولرشيد الدين الصوري (573 ـ 639م) مكانة خاصة في ميدان الأدوية المفردة ، فله أكثر من كتاب ، أهمها (كتاب الأدوية المفردة) و (كتاب النبات) الذي استقصى فيه ذكر الأدوية المفردة ، وذكر أيضا أدوية اطلع على معرفتها ومنافعها لم يذكرها المتقدمون ، وكان يصطحب مصورا ومعه الأصباغ والليق ، على اختلافها وتنوعها ، فكان يتوجه إلى المواضع التي بها النبات مثل جبل لبنان ، وغيره من المواضع التي قد اختص كل منها بشيء من النبات ، فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور ، فيعتبر لونه ، ومقدار ورقه وأغصانه ، وأصوله ، ويصوره بحسبها ، ويجتهد في محاكاتها . ثم إنه سلك أيضا في تصوير النبات مسلكا مفيدا ، وذلك أنه كان يري النبات للمصور في إبان نباته وطراوته فيصوره ، ثم يريه إياه وقت كماله ، وظهور بزره ، فيصوره تلو ذلك ، ثم يريه إياه في وقت ذواه ويبسه فيصوره . فيكون الدواء الواحد يشاهده

الناظر إليه في الكتاب ، وهو على أنحاء ما يمكن أن يراه به في الأرض فيكون تحقيقه له أتمّ ، ومعرفته أبين[95] .

ولعبد اللطيف البغدادي (557 ـ 629 هـ) عدة كتب في النبات منها : (اختصار كتاب الأدوية المفردة لابن وافد ، وكتاب كبير في الأدوية المفردة ، وانتزاعات من كتاب ديوسقوريدس في صفات الحشائش ، ومقالة في النحل ، وكتاب أخبار مصر وفيه فصل فيما تختص به مصر من النبات ، وفي كتابه (الإفادة والإعتبار عن الأمور المشاهدة والأحوال المعاينة في أرض مصر) فصل خاص (هو الفصل الثاني) بذكر ما تختص به مصر من النبات ، وقد وصف نباتات الموز والنخل والقُلْقَاس والبَلَسان والجُمِّيز والأُتْرُج والليمون والعبدليّ[96] .

وليوسف بن اسماعيل الخويي المعروف بابن الكتبي البغدادي كتاب (ما لا يسع الطبيب جهله) الذي اختصره من مفردات ابن البيطار المسمّى بالجامع ، وشرح منفعة الدواء بما اشتهر من أسمائه ، وزاد أسماء أدوية لم يذكرها ، فهو كالمختصر من جهة وكالشرح من جهة ، وككتاب مفرد من جهة . لقد فرغ من جمعه في جمادى الآخرة سنة 711 هـ ـ 1311 م . «وهو كتاب جليل المقدار وجلالتـه بجلالة أصله ، الجامع لابن البيطار ، وخصوصا بما زاد عليه[97] » .

أما داود الأنطاكي (المتوفّى سنة 1008 هـ ـ 1600 م) فأعظم علماء النبات في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ومؤلفه (تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب) من أهم كتب الأدوية والنباتات في التراث العربي . فلقد زاد على من تقدمه من المؤلفين زيادة جديرة

بالذكر ، سواء في المفردات ، أو خواصها ومنافعها . ذلك أنه : بعد أن ألف كثيرا تاقت نفسه إلى تأليف كتاب غريب مرتب على نمط عجيب ، لم يسبق إلى مثاله ، ولم ينسج على منواله ، ينتفع به العالم والجاهل ، بالغ فيه بالاستقصاء ، ومجتهد في الجمع والإحصاء[99] . وقد رتبه على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة .

وقد عرض الأنطاكي لمؤلفات من سبقه ، ونقدها واختط لنفسه خطة في البحث قال : إنها تتكون من عشرة قوانين ، فكان يذكر الأسماء بالألسن المختلفة ثم الماهية ، ثم الحسن والرديء ، وذكر الدرجة في الكيفيات الأربع ، ثم المنافع في سائر أعضاء البدن ، ثم كيفية التصرف فيه مفردا ، أو مع غيره ، ثم المضار ، ثم ما يصلحه ، ثم المقدار ، ثم ما يقوم مقامه إذا فقد . وقد أضاف أمرين على أعظم جانب من الأهمية هما الزمان الذي يقطع فيه الدواء ، ويدخر حتّى لا يفسد ، ثم موطن الدواء .

وقد تحدث داود عن مئات من أنواع النبات ، وعشرات من أنواع الحيوان والمعادن ، مما اتخذ منها عقاقير وأدوية ، ثم ذكر عدة قواعد أساسية في صناعة الدواء ، وطريقة العلاج ، كما أورد وصفات عامة ، وعشرات من الأكحال ، والأدهان ، والسفوف ، والتراكيب المختلفة[100] .

ولابن الهيثم العالم الرياضي والطبيعي الشهير (ولد سنة 354هـ ـ 965م ـ وتوفّى حدود سنة 430هـ ـ 1038م) مصنفات كثيرة يذكر بينها (كتاباه : في قُوى الأدوية المفردة ، وفي قوى الأدوية المركبة[101]) . وللطبيب عليّ بن رَضوان المتوفّى سنة 453هـ ـ 1061م) مؤلفات طبية

كثيرة ، بينها ماله صلة بالنبات وخاصّة كتابه (في الأدوية المفردة على حروف المعجم) وهو في اثنتي عشرة مقالة[102] .

أما ضياء الدين بن البيطار الذي وصف بأنه «أوحد زمانه ، وعلامة وقته في معرفة النبات ، وتحقيقه واختباره ، ومواضع نباته ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها[103] » وصاحب المؤلف العظيم (الجامع في الأدوية المفردة)» الذي لم يوجد في الأدوية المفردة كتاب أجل ولا أجود منه[104] » فسنقف عنده وعند كتابه ، وقفة متمهلة خاصة في نهاية هذا الفصل .

وقد أسهم الأندلسيون والمغاربة في أبحاث علم النبات الطبي ، واشتهر ممن ألف في ذلك : اسحاق بن عمران ، البغدادي الأصل والذي عاش في القيروان ، والذي ألف مصنفات كثيرة منها كتاب (الأدوية المفردة[105]) ، وأبو يعقوب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي القيرواني (المتوفي قريبا من سنة 320 هـ 932 م) وصاحب (كتاب الأدوية المفردة والأغذية[106]) ، وابن الجزّار القيرواني الطبيب (كان في أيام المعز بالله في حدود سنة 350 هـ[107]) الذي له كتاب (الإعتماد في الأدوية المفردة ، والبغية في الأدوية المركبة[108]) ؛ وابن جُلْجُل الذي فسر أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديوسقوريدس وأفصح عن مكنونها وأوضح مستغلق مضمونها[109] ، وله عدة تصانيف في النبات أشهرها : كتاب تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديوسقوريدس ، ومقالة في ذكر الأدوية التي لم يذكرها ديوسقوريدس في كتابه مما يستعمل في صناعة الطب وينتفع به[109]) ؛ وابن وافد (387 هـ ـ 467 هـ ـ 977 ـ 1074 م) الذي ألف كتابا جليلا لا نظير له في علوم الأدوية المفردة ،

جمع فيه ما تضمنه كتاب ديوسقوريدس وكتاب جالينوس ورتبه أحسن ترتيب وهو (كتاب الأدوية المفردة)[110] ، وابن سَمْجون وله : (كتاب في الأدوية المفردة) مشهور بالجودة (ألفه في أيام الحاجب محمد بن أبي عامر المتوفي سنة 392 هـ)[111] ، وأبو عبيد الله البكري (المتوفي سنة 487 هـ) ، العالم الموسوعي ، الذي كان «فاضلا في معرفة الأدوية المفردة وقواها ومنافعها وأسمائها ونعوتها وكل ما يتعلق بها ، والذي له جملة من رسائل وكتاب (أعيان النبات والشجريات الأندلسية)[112] ؛ وأبو جعفر أحمد بن محمد الغافقي (المتوفّى سنة 560 هـ 1164 م) الذي ألف كتابا في الأدوية المفردة وصف فيه النباتات بدقة . أحسن وصف نجده لدى العرب في العصور الوسطَى[113] فلقد كانَ أغرف أهل زمانه بقوى الأدوية المفردة ومنافعها وخواصها وأعيانها ومعرفة أسمائها من أصلية وبربرية وعربية[114] ، والشريف الإدريسي الصقلي ، (493 هـ ـ 1099 م) . العالم الجغرافي الكبـير ، والذي له كتاب (الجوامع لصفات أشتات النبات وضروب أنواع المفردات من الأشجار والثمـار والأصـول والأزهار وأعضاء الحيوان والمعادن والأطيار) . كل ذلك بأسماء النبات العربية والفارسية واليونانية واللاتينية والسريانية والعبرانية والهندية والكردية والتركية والإفرنجية (والبربرية والقبطية ؛ أحيانا) ، وذكر منافع كل مفرد وما يستخرج منه من صموغ وزيوت ، ويتخذ منه من أصول وقشور ، وفوائدها في العلاج والتداوي . وينقسم الكتاب إلى جزئين جمع في الأوّل نحو 360 نباتا ، وضمن السفر الثاني نحوا من 300 نبات والجزءان مرتبان على ترتيب حروف المعجم[115] ، وأبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي الذي يضم مؤلفه في الطب (كتاب التصريف لمن عجز عن

التأليف) قسما خاصا بالأدوية[116] وأبو الصلت أميّة بن أبي الصلت المتوفّى سنة 529 هـ ـ 1134 م) مؤلّف (كتاب الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء[117]) ، وابن باجه (المتوفّى سنة 533 هـ ـ 1138 م) وله كتابان (كلام على بعض كتاب النبات لأرسطو طاليس ، وكلام على شيء من كتاب الأدوية المفردة لجالينوس)[118] وأبو العلاء بن زُهر الطبيب المشهور (المتوفّى سنة 565 هـ ـ 1131 م) وله (كتاب الأدوية المفردة[119] وأبو الوليد بن رشد الفيلسوف والطبيب المتوفّى سنة (595 هـ ـ 1198 م) ، مؤلف كتاب (تلخيص أول كتاب الأدوية المفردة لجالينوس[120]) ، وأبو العباس أحمد بن محمد بن الروميّة (561 ـ 637 هـ ـ 1165 ـ 1235 م) الذي أتقن علم النبات ومعرفة أشخاص الأدوية وقواها ومنافعها ، واختلاط أوصافها وتباين مواطنها ، له : (تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديوسقوريدس وأدوية جالينوس والتنبيه على أوهام من ترجمها والتنبيه على اختلاط الغافقي) (وله كتاب الرحلة المشرقية) ، الذي عاين فيه نباتا كثيرا في ديار المشرق ، والذي نقل عنه ابن البيطار كثيرا[121]) .

وهكذا يكون هذا القسم الثاني من تراث العرب في النبات والذي له اتصال بالطبيب : ثمرة تلاقي العرب بغيرهم من الأمم ، وتمازج ثقافتهم بثقافاتهم وبالثقافة اليونانية منها خاصة ، هذه الثقافة التي كانت عمدتهم في ترجمة كتابي جالينوس وديوسقوريدس في الأدوية المفردة ، والتي أفاد منها النباتيون العرب أيما فائدة ، وأضافوا إليها إضافات لا تنكر . يضاف إلى هذا ما أفاده العرب من التراث الهندي في ميدان الطب عامة ، وفي الأدوية ونباتاتها خاصة . فلقد نقلت الكتب الطبية من الهنديسة

والفارسية ، واشتهر من النقلة كَنَكة ومَنَكة الهنديان اللذان كانا عالمين بصناعة الطب ، واللذان نقلا بعض كتب الطب والعقاقير . وقد نقل الرازي في الحاوي وفي غيره ، عن كتب جماعة من الهند (فيما اختلف فيه الهند والروم في الحار والبارد ، وفي قوى الأدوية . وفي العقاقير الهندية) . وسميت بعض الكتب (ككتاب نوفشل) وفيه مائة داء ومائة دواء . وكتاب (مختصر في العقاقير للهند) . وكتاب (أسماء العقاقير) فامتلأت الكتب العربية بأسماء العقاقير المفردة الخاصة بالهند . والتي ليست من نبات جزيرة العرب[122] .

ضياء الدين بن البيطار وكتابه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية»

ونخص ضياء الدين أبا محمد عبد الله بن أحمد المالقي المشهور بابن البيطار بدراسة مفصلة لكونه أوحد زمانه . وعلامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختباره ، ومواضع نباته ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها .[123] ، وأمام النباتيين وعلماء الأعشاب[124] . والطبيب الحاذق والعشّاب البارع[125] . وأعظم علماء النبات في المشرق في عصره[126] ، والمشهود له بأنه أعظم النباتيين والصيادلة المسلمين[127] ؛ ولأن كتابه (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية[128]) يقع في أربعة أجزاء في حوالي 800 صفحة من القطع الكبير . وقد وصلنا كاملا . مخطوطا ومطبوعا ، وإن كانت طبعته الوحيدة التي تمت منذ أكثر من مائة عام . ليست طبعة علمية ومنشورة حسب قواعد النشر العلمي .

هو أبو محمد عبد الله بن أحمد ضياء الدين بن البيطار المولود في مالِقة

بالأندلس في الربع الأخير من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) . درس في مالقة ، وكان بين شيوخه في علم النبات أبو العباس النباتي الذي كان يجمع النباتات من منطقة إشبيلية . ولما بلغ ابن البيطار العشرين من عمره ، جاب شمال إفريقية: مراكش والجزائر وتونس لدراسة النبات . والتحق عندما وصل إلى مصر ، بخدمة ملكها الكامل الأيوبي ، الذي عينه «رئيسا على سائر العشّابين» . ولما توفي الكامل استبقاه في خدمته ، ابنُه الملك الصالح نجم الدين ، الذي كان يقيم في دمشق . وفي دمشق بدأ ابن البيطار في دراسة النباتات في الشام وآسيا الصغرى ، وفيها كتب مؤلفيه اللذين اشتهر بهما ، واللذين هما ثمرة دراساته العلمية والعملية : (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، والمغني في الأدوية المفردة) وهما أشهر كتبه وله إلى جانبهما : (تعليق على منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان من الأدوية المفردة والمركبة وقد سماه الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام ؛ والأفعال الغريبة والخواص العجيبة ، وشرح أدوية كتاب ديوسقوريدس[129]) . ولقد كان ابن أبي أصيبعة تلميذا لابن البيطار ، وقد صحبه في رحلاته للكشف عن النباتات في منطقة دمشق ولكنه لم يعطنا ـ مع الأسف ـ معلومات وافية عن أستاذه الذي عرفه عن قرب . هذا وقد توفي ابن البيطار في دمشق (عام 646 هـ ـ 1248 م)[130] .

قال عنه ابن أبي أصيبعة : «فكنت أجد من غزارة علمه ، ودرايته شيئا كثيرا . وكان لا يذكر دواء في جوابه لمن يسأله ، إلا ويعين في أي مكان هو من كتب ديوسقوريدس وجالينوس ، وفي أي عدد هو في الأدوية المذكورة في تلك المقالة .

وكان ثقة فيما ينقله ، حجة للجميع . سافر مماثلا بلينوس ، وغيره من الحكماء إلى بلاد الأغارقة والشرق ، وبلاد الروم . وأخذ فن النبات عن جماعة حكماء مشهورين ، وكان ذكيا فطنا ، وكان بمصر ريسا على الحكماء وساير العشابين[131] » .

مؤلفه (المغني في الأدوية المفردة) ، كتاب في العقاقير الطبية ، تناول فيه علاج الأعضاء عضوا عضوا بطريقة مختصرة كي ينتفع به الأطباء[132] .

أما كتابه الرئيسي الهام الذي أحله المكانة السامية التي يحتلها في تاريخ علم النبات العربي ، فمؤلفه الآخر (كتاب الجامع لمفردات الأغذية والأدوية) الذي يقع في طبعته المتوفّرة لنا في أربعة أجزاء والذي ترجمه إلى الفرنسية لوسيان لوكلير[133] ترجمة جيدة يمكن الاعتماد عليها ، وإلى اللغة الألمانية ج . ف . سونتايمر J. V. Sontheimer ترجمة غير موفقة[132] .

هو معجم أبجدي للأغذية والأدوية ، وأكمل ما ألف العرب في هذا الباب ، وأكثره تفصيلا ، واعتمد في تأليفه على كتب كثيرة لمؤلفين سابقين عليه من أمثال ابن جُلْجُل والغافقي والزهراوي ، والإدريسي ، وابن جَزْلَةَ والرازي ، والدينوري وابن سمجون وثابت بن قره ، وابن الوحشية وابن العوّام وغيرهم[134] .

ويضم الكتاب أكثر من 2330 مادة جمع فيها كل ما ذكره سابقوه من اليونان والعرب عن الأدوية ، وزاد عليهم ثلاثمائة دواء لم يشر إليها أحد قبله[135] .

وقد عني في كتابه هذا بذكر ماهيات الأدوية ، وقوامها ، ومنافعها

ومضارها ؟ وإصلاح ضررها ، والمقدار المستعمل في جرمها أو عصارتها أو طبخها والبدل منها عند عدمها ، وأنه توخّى في ذلك ستة أهداف : صحة النقل عن الأقدمين ، والتحري للصواب والتحقيق ، وترك التكرار حسب الإمكان ، وتقريب مأخذ الكتاب بحسب ترتيبه على حروف المعجم ، والتنبيه على كل دواء واقع فيه وهم أو غلط ، وتسمية الأدوية بساير اللغات المتباينة في السمات .

قال في فاتحة كتابه : (136) .

« .... وبعد ، فإنه لما رسم بالأوامر الطاعة الملكية الصالحية النجمية بوضع كتاب الأدوية المفردة ، تذكر فيه ماهيتها وقواها ومنافعها ومضارها وإصلاح ضررها ، والمقدار المستعمل من خارجها أو عصارتها أو طبخها والبدل منها عند عدمها .... جمعت هذا الكتاب في القول في الأدوية المفردة والأغذية المستعملة على الدوام والإستمرار عند الإحتياج إليها في ليل كان أو نهار ، ومضاف إلى ذلك ذكر ما ينتفع به الناس من شعار ودثار . واستوعبت فيه ما في خمس مقالات من كتاب الأفضل ديوسقوريدس بنصه ، وكذلك فصلت أيضا بجميع ما أورده الفاضل جلينوس في ست المقالات من مفرداته بنصه . ثم ألحقت بقولها من أنوال المحدثين في الأدوية النباتية والمعدنية ما لم يذكراه ، ووصفت عن ثقاة المحدثين وعلماء النباتيين ما لم يصفاه ، وأسندت ـ في جميع ذلك ـ الأقوال إلى قائلها ، وعرفت طرق النقل فيها بذكر ناقلها . واختصصت بما تم لي به الإستبداد ، وتوضح لي القول ، ووضح عندي الاعتماد ...

« الغرض الأول : صحة النقل فيما أذكره عن الأقدمين ، وأحرره عن

المتأخرين . فما صح عندي بالمشاهدة والنظر . وثبت لديَّ بالخُبر لا الخَبر ادخرته كنزا سريا . وعددت نفسي عن الإستعانة بغيري فيه . سوى الله . غنيا .

« الغرض الثاني : وما كان مخالفا في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية في المنفعة والماهية للصواب والتحقيق . أو أن ناقله أو قايله. عدلا فيه عن سوى الطريق . نبذته ظهريا . وهجرته مليا . وقلت لناقله أو قايله : (لقد جئت شيا فريا) . ولم أحاب في ذلك قديما لعتقه . ولا محدثا اعتمد غيري على صدقه .

« الغرض الثالث : ترك التكرار حسب الإمكان . إلا فيما تمس الحاجة إليه لزيادة معنًى وتبيان .

« الرابع : تقريب مأخذه بحسب ترتيبه على حروف المعجم مقفّى . ليسهل على الطالب ما طلب من غير مشقة ولا عنا .

(الخامس : التنبيه على كل دواء واقع فيه وهم أو غلط متقدم أو متأخر . لاعتماد أكثرهم على الصحف والنقل . واعتمادي على التجربة والمشاهدة حسب ما ذكرت قبل .

« السادس : في تسمية الأدوية بساير اللغات المتباينة في السمات . مع أني لم أذكر فيه ترجمة دواء إلا وفيه صفة مذكورة أو تجربة مشهورة . وذكرت كثيرا منها بما يعرف به في الأماكن التي تنسب إليها الأدوية المسطورة . كالألفاظ البربرية والاطينية – وهي أعجمية الأندلس – إذ كانت مشهورة عندنا . جارية في معظم كتبنا .

« وقيدت ما يجب تقييده بالضبط وبالشكل وبالنقط تقييدا لا يؤمن

معه من التصحيف ، ويسلم قاريه من التبديل والتحريف . إذ كان أكثر الوهم والغلط الداخل على الناظرين في الصحف ، إنما هو من تصحيفهم لما يقرونه ، أو سهـو الورّاقين فيما يكتبونه .

«وسميته (بالجامع) لكونه جمع بين الدوا والغذا ، واحتوى على الغرض المقصود مع الإنجاز والاستقصـاء هذا حين ابتدي ، وبالله أستعين وأهتدي ... (137) »

ولعلّ خير تقويم له ماكتبه مايرهوف في (تراث الإسلام) :

«كان يجلب أنواع النبات والأدوية من ساحل البحر المتوسط وإسبانيا وسوريا ويدرسها . وصف في كتابه أكثر من 1400 عقار ، وقارنها بأوصاف أكثر من 150 عالما عربيا فكان ثمرة ناضجة لعمق الدراسة ، ودقة الملاحظة وسعة الإطلاع فإنه يعد أعظم من ألف بالعربية عن النبات . »

هوامش وتعليقات

(64) عبد الحليم منتصر . تاريخ العلم ص113 . وأثر الإسلام في النهضة الأوربية ص240
(65) أحمد عيسى بك . المصدر السابق ص 35 .
(66) فريد جحا . كتب أنصفت حضارتنا . دار الأنوار للطباعة . دمشق 1978 ص46
(67) ابن أبي أصيبعة ج1 ص116 .
(68) ابن أبي أصيبعة ج 1 ص 123
(69) أحمد عيسى بك . المصدر السابق ص 35 . نقلا عن طبقات الأمم للقاضي صاعد الأندلسي .
(70) ابن أبي أصيبعة . ج 1 ص 109 .
(71) أحمد عيسى بك المصدر السابق ص 36 نقلا عن القفطي وابن النديم وابن أبي أصيبعة ج 1 ص204 .
(72) أحمد عيسى بك المصدر السابق ص36 نقلا عن كتاب ما ترجمه حنين من كتب جالينوس ص30 .
(73) أحمد عيسى بك المصدر السابق ص37 .
(74) الموسوعة الميسرة . القاهرة 1960 ص84 . وبالأنثيا تاريخ الفكر الأندلسي ترجمة مؤنس ص462 ـ 463 . وألدوميلي العلم العربي بالفرنسية . ليدن 1966 ص 21 . ومقالة مايرهوف بالفرنسية في مجلة الأندلس مدريد المجلّد الثالث 1935 ص 1 ـ 42 حول تاريخ الصيدلة والنبات عند مسلمي إسبانيا . ومقاله سامي خلف حمارنة بالأنكليزية عن علوم الحياة في كتاب عبقرية الحضارة العربية مصدر النهضة. نيويورك 1975 ص159 . مايرهوف في تراث الإسلام. الترجمة العربية دار الطليعة بيروت 1972 ص 445 .
(75) صور كثيرة منه في كتاب اتنكهاوزن (التصوير العربي La peinture Arabe الصادر عن مؤسسة سكيرا Skira جنيف 1962 . وفي مختلف الكتب التي عالجت الفنون العربية والإسلامية بصورة عامة أو فن التصوير بشكل خاص .
(76) نسبة إلى مدينة عين زربة .
(77) أحمد عيسى بك . المصدر السابق ص 38 نقلا عن جمال الدين بن القفطي .
(78) أحمد عيسى بك . المصدر السابق 38 نقلا عن ابن أبي أصيبعة ج1 ص35 .
(79) ابن أبي أصيبعة ج1 ص 35 . وأحمد عيسى بك المصدر السابق ص 38 .

(80) طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ج2 ص41 . وبالانثيا . تاريخ الفكر الأندلسي . الترجمة العربية ص465 .

(81) بالانثيا . المصدر السابق ص 465 .

(82) أحمد عيسَى بك المصدر السابق نقلا عن ابن أبي أصيبعة ص47 .

(83) أحمد عيسَى بك المصدر السابق ص 41 نقلا عن ابن جلجل برواية ابن أبي أصيبعة ص47 :

(84) أحمد عيسَى بك المصدر السابق ص 43 و 44 .

(85) أحمد عيسَى بك . المصدر السابق 44 و 45 .

(86) أحمد عيسَى بك المصدر السابق ص45 و 46 نقلا عن ابن أبي أصيبعة وابن القفطي وعن رسالة حنين بن أسحق (فهرست كتب جالينوس) .

(87) أحمد عيسَى بك المصدر السابق ص 47 . نقلا عن رسالة حنين بن إسحاق إلى علي بن يحيَى ص30 .

(88) أحمد عيسَى بك المصدر السابق ص47 .

(89) أحمد عيسَى بك المصدر السابق ص 47 و 48 وعبد الحليم منتصر تاريخ العلم ص 169 و 170 .

(90) أحمد عيسَى بك . المصدر السابق ص 48 و 49 ومصادره في دائرة معارف الإسلامية الجزء الثاني ص 1078

(91) أحمد عيسَى بك . المصدر السابق ص 51 و 52 . ولوكلير ج 1 ص 337 بالفرنسية . ومصادره في معجم المؤلفين ج10 ص6 .

(92) أحمد عيسَى بك . المصدر السابق ص 52 و 53 . ومصادره في دائرة معارف الإسلام الطبعة الجديدة بالفرنسية ص1273 .

(93) قائمة مؤلفات ابن سينا في (مؤلفات ابن سينا) للأب جورج شحادة قنواتي . دار المعارف بمصر 1950 . وقد أنجزت السيدة عصام صبري . فهرسا كاملا بمؤلفات ابن سينا نشر في العدد المزدوج الخاص بابن سينا من مجلة التراث العربي ومصادره خاصّة في دائرة معارف الإسلام الطبعة الجديدة بالفرنسية ج3 ص965 وما بعد .

(94) أحمد عيسَى بك . المصدر السابق ص55 و 56 . وعبد الحليم منتصر . تاريخ العلم ص 146 و 147 . وص 223 و 225 .

(95) طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ج2 ص219 ومصادره في معجم المؤلفين ج4 ص 161 .

(96) عبد الحليم منتصر . تاريخ العلم ص 203 و ص230 وابن أبي أصيبعة . طبقات الأطباء ج2 ص 212 و 213 و 214 . وحاجي خليفة . كشف الظنون ج2 ص 168 ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج6 ص15 . و ج 13 ص40 .

(97) حاجي خليفة في كشف الظنون . مادة (في ما لا يسع) نقله عنه أحمد عيسى . المصدر السابق ص 66 . وتوجد نسخ مخطوطة منه بمعهد التراث العلمي العربي بحلب .

(99) من مقدمة كتاب التذكرة . وأحمد بن عيسَى . المصدر السابق 68 . وقد طبع كتاب التذكرة بمصر عام 1308 1309 هـ ـ 1890 ـ 1891 م في جزئين يضمها بجلد واحد في نهايته ذيل التذكرة والكل في حوالي (700) ص

(100) عبد الحليم منتصر . تاريخ العلم ص 203 و 238 . ولوسيان لوكلير ج2 ص304 . ومصادره في معجم المؤلفين ج4 ص 140 . ودائرة معارف الإسلام الترجمة العربية ج 1 ص363 . والطبعة الجديدة بالفرنسية ج1 ص531 .

(101) مصادر دراسة ابن الهيثم كثيرة نذكر على سبيل المثال عبد الحليم منتصر . تاريخ العلم ص149 وما بعد . وأحمد عيسَى بك المصدر السابق ص70 وما بعد . وعبقرية الحضارة العربية مصدر النهضة باللغة الأنكليزية ص132 وما بعد . 138 وما بعد . وتراث الإسلام ص478 وما بعد من الترجمة العربية . والعلم العربي لألدوميلي ص57 و 58 و 59 .

(102) قائمة كتبه لدى أحمد عيسَى . المصدر السابق ص72 و 73 .

(103) أحمد عيسَى بك . المصدر السابق ص 73 .

(104) أحمد عيسَى بك . المصدر السابق ص 75 .

(105) أحمد عيسَى بك . المصدر السابق ص 77 .

(106) صاعد الأندلسي . طبقات الأمم ص 88 . وطبقات الأطباء ج2 ص237 وكشف الظنون 137 و 260)

(107) ياقوت . معجم الأدباء ج 1 ص 81 .

(108) أحمد عيسَى . المصدر السابق ص 79 . وألدوميلي . العلم العربي بالفرنسية ص 58 و 59 .

(109) أحمد عيسَى . المصدر السابق ص 79 و 80 . وألدوميلي . المصدر السابق ص 182 وبالانثيا . المصدر السابق ص465 .

(110) أحمد عيسَى . المصدر السابق ص80 و 81 بالانثيا . الفكر الأندلسي ص 467 . وصاعد الأندلسي طبقات الأمم ص 128 .

(111) أحمد عيسَى ، المصدر السابق ص 81 .
(112) أحمد عيسَى ، المصدر السابق ص 82 وبالانثيا ، المصدر السابق ص 309 ـ 311 .
(113) ميلي ، المصدر السابق ص 205 ، وبالانثيا ، المصدر السابق ص 472 .
(114) أحمد عيسَى ، المصدر السابق ص 82 .
(115) عبد الحليم منتصر ، المصدر السابق ص 226 وما بعد ، وأحمد عيسَى بك ص 83 ـ 86 .
(116) أحمد عيسَى بك ص 87 ، وعبد الحليم منتصر ، تاريخ العلم ص 216 . وبالانثيا . تاريخ الفكر الأندلسي ص 465 ، 534 ، 539 ، وعبقرية الحضارة العربية ابالأنكليزية ص 70 .
(117) أحمد عيسَى بك ، المصدر السابق ص 87 و 88 .
(118) أحمد عيسَى بك ، المصدر السابق ص 88 و 89 .
(119) أحمد عيسَى بك ، المصدر السابق ص 89 .
(120) أحمد عيسَى بك ، المصدر السابق 290 ومصادر دراسة ابن رشد ومؤلفاته حمعها جورج شحاته قنواتي في كتاب خاص بمناسبة مهرجان ابن رشد في الجزائر عام 1978 .
(121) أحمد عيسَى بك ، المصدر السابق ص 90 و 91 ، وبالانثيا . المصدر السابق ص 238 ، وميلي ، المصدر السابق ص 212 .
(122) أحمد عيسَى بك ، المصدر السابق 93 و 94 .
(123) أحمد عيسَى بك ، المصدر السابق ص 73 .
(124) دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية ج 1 ص 104 .
(125) عبد الحليم منتصر . أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية ص 242 .
(126) بالانثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ص 479 .
(127) ألدوميلي ، العلم العربي ، بالفرنسية ص 212 .
(128) طبعة بولاق القاهرة 1281 هـ 1874 م
(129) كحالة عمر رضا ، معجم المؤلفين مطبعة الترقي 1378 ـ 1958 ج 6 ص 22
(130) ملخص عن دائرة معارف الإسلام ، مقالة ابن بيطار ، في الطبعتين القديمة ج 1 ص 104 والجديدة ج 3 ص 759 .
(131) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء . طبعة مولر ج 2 ص 133 .
(132) دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ج 1 ص 105
(133) طبعت الترجمة بباريس بين عامي 1877 و 1883 والألمانية بشتوتغارت 1870 ـ 1872 .

(134) أحمد عيسَى بك . المصدر السابق ص74 و 75 . وبالانثيا . تاريخ الفكر الأندلسي ص 479 .

(135) بالانثيا . المصدر السابق ص 479 .

(136) مقدمة كتاب الجامع لمفردات الأغذية والأدوية .

(137) تراث الإسلام ص 485 .

الفصـــل الثالـــث

النبـــات والفلاحـــة

يحتوي التراث العلمي النباتي العربي ، بالإضافة إلى ما فصّلنا فيه القول ، في الفصلين السابقين ، مؤلفات تعالج النبات من حيث صلته بالفلاحة : أي زرعه ، ونموه ، وتسميده ، وحصاده ، وأوقات ذلك كله ، والكيفية في عمله ، وهو ما يسمّى بالفلاحة[137] .

والفلح : الفلق والشق ، وفلح الأرض ، شقها للزراعة ، ومنه : الفلاح : العامل في الفلاحة .

وكانت (الفلاحة) منذ العصر الجاهلي قد اتخذت معنًى أوسع من شق الأرض وإعدادها للزراعة ، فأخذت تعني أيضا مهنة العمل في الأرض ، فهي بهذا المعنَى مرادفة لكلمة (الزراعة) ، التي كان القدماء يؤثرون عليها كلمة (الفلاحة) ، فجميع المؤلفين القدامَى كانوا يسمون مؤلفاتهم في الزراعة (كتاب الفلاحة) . ولا تزال هذه الكلمة مستعملة كثيرا في إفريقيا الشمالية ، وفي اللغتين الرسمية والدارجة ، لهذا تسمّى وزارة الزراعة في المغرب (وزارة الفلاحة) بينما تدعَى في مصر ولبنان والأردن والعراق وسوريا (وزارة الزراعة) . إن هذه الكلمة الأخيرة لم تأخذ مكانها المفضل

في الأوساط الرسمية والأدبية في المشرق العربي ، إلا بدءًا من هذا القرن ، إلا أنَّ كلمة (فلاحة) بقيت مستعملة في لغة المزارعين[138] .

ولا شك أن العرب قد عرفوا فنون الزراعة العملية المتنوعة قبل الإسلام : عرفوها في جزيرتهم حيث تكثر الواحات التي قد يوجد فيها الماء ، وتصلح أرضها لزراعة أنواع من النباتات المختلفة من أهمها النخيل ، وعرفوا أنواعا متطورة منها في جنوبيّ الجزيرة ، في بلاد اليمن السعيدة حيث حجزوا المياه وراء سد مأرب مستفيدين منها في الزراعة ، ثم في البلاد التي انتقلوا إليها في الشمال ، والشمال الشرقي حيث احتكّوا بالفرس وبالروم ، ومارسوا هناك فنونا جديدة ، من زراعة النبات ، لم يألفوها من قبل .

وعندما أتى الإسلام ، وتمت الفتوحات ، وامتدت شمالا وشرقا وغربا ، أظلت دولتهم العربية الإسلامية الواسعة أنواعا متنوعة من الأرض فيها سهول البحر المتوسط ، والأراضي التي تحيط بالأنهر العظيمة في بلاد الشام والعراق ومصر وشمالي إفريقية وبلاد الأندلس . في هذه البلاد أتيح للعرب أن يتعرفوا أنواعا كثيرة من النباتات ، وفنونا جديدة من الزراعة (أو الفلاحة كما كانوا يطلقون عليها) ، وعرفوا خاصة الجوانب النظرية من هذه المهنة ، فيما كانت الأقوام التي أخذوا يألفونها ويعيشون معها من روم ، ونَبَط ، وفرس ، قد سجلتها نتيجة تجاربها الطويلة ومعاناتها الزراعية المختلفة ، فانكبوا عليها يترجمونها إلى لغتهم العربية أولا ، ثم يضيفون إليها بعد ذلك إضافات مختلفة ، خلال قرون عديدة ثانيا . فكان لدينا هذا التراث من المؤلفات التي عالجت الفلاحة وكل ما يتصل بها .

ولقد عرف العرب أول ما عرفوا ما كان يسمّى (الفلاحة النَبَطية)

نسبة إلى النَّبط ، وهم سكّان بابل الأقدمون ، سمّوا (نَبَطا) لاستنباطهم المياه للزرع ، وإفلاح الأرض ، وكانوا يسمّون كذلك الكلدانيين ، والكسدانيين الذين كانت لهم مدنية وعلوم وآداب ضاعت بمرور الزمن ، ولم يبق منها إلّا آثار طفيفة في اللغة العربية : في الفلاحة ، والسحر ، والتنجيم ، والصنعة[139] .

ولقد وصلنا في جملة ما وصلنا من هذه الآثار كتابان أبقَى عليهما الزمن ، أولهما : كتاب الفلاحة النبطية لأبي بكر أحمد بن أحمد بن علي بن قيس[140] الكَسَداني اصوفي ، المعروف بابن وَحشيّة ، والذي لم يتأكّد وجوده حتّى الآن في مصدر تاريخي يعتمد عليه[141] . وثانيهما : كتاب الدُّر المُلْتَقط في عِلم فلاحي الروم والنَبَط ، لمحمد بن أبي بكر بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي المعروف بشيخ حطين[142] ؛ وهناك كتب أخرى وصلتنا عن الفلاحة النبطية عددها ستة ولا نعرف منها إلّا أسماء مؤلّفيها[142] .

ويرى الأمير مصطفَى الشهابي[143] أن كتاب (الفلاحة النبطية) (المؤلّف أو المترجم عن النبطية في عام 291 هـ / 904 م) أقدم كتاب فلاحي معروف ، كما يرى توفيق فهد[144] أنه منذ نشر مؤلفاته عام 1875 (في ZDMG ، المجلّد الرابع والعشرون ص 453 وما بعد) ان مؤلّف كتاب الفلاحة النبطية الحقيقي هو أبو طالب أحمد بن الحسين بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الملك الزيات ، الذي ينتمي إلى وزير عباسي مشهور ، والذي كان معاصرًا لابن النديم صاحب الفهرست ، والذي يعرفنا عن نفسه بأنه تلميذ ابن وحشية ومريده ، والذي يظنّ أنه يرجع إلى أصل غير عربي ، يشهد على ذلك لغة ما يعزى إليه من ترجمات وأسلوبها ،

فهما ينمّان عن لغة وأسلوب غير عربيين ممّا يطرح التساؤل حول لغة الكتاب الأصلية أهي السريانية أم الاغريقية أم الفهلوية ؟ والواقع انّ إشارات تؤكّد انها مترجمة عن السريانية ، التي كانت الوسيلة لانتقال عناصر علمية اغريقية وفهلوية وهندية .

كتاب (الفلاحة النبطية) هذا أهم أثار ابن وحشيّة التي خلفها[147] وهو مؤلف ضخم توجد نسخ كثيرة من مخطوطاته غير الكاملة ، تقول إحداها وهي مخطوطة ليدن «إن ابن وحشية قد ترجمها من الكَسَدانية إلى العربية في عام 291هـ ــ 902م ، وأنه أملاها على أبي طالب ... ابن الزيات في عام 318هـ ــ 930م» ولقد قدم م. بليسنر فهرس الكتاب منذ عام 1928 ــ 1929 ، الذي كان موضوع مناقشات بين المستشرقين بين سنتي 1835 و1875 ، فالمستشرق أ. م. كاترومير A.M Quatremère، يرى أن الكتاب ترجمة لمؤلّف كَلْداني من عصر نبوخذ نصر الثاني (605 ــ 562 قبل الميلاد) ، وصاحب الفهرست يقول : إن ابن وحشية من ولد سنحاريب (705 ــ 681 ق م) بينما يضع ماير الكتاب في القرن الميلادي الأول[146] . أما كولسن Chowlson فيعود به إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وذلك لا يرضي رينان الذي يرى أنّ تاريخ تأليف الكتاب إنما يعود إلى العهد الهيلينستي (القرنان الثالث والرابع بعد الميلاد) ، بينما يرى الفريد فون غاتشميد ، في بحث له عام 1861 أن الكتابات المترجمة في العصر الإسلامي (مفتتح القرن التاسع الميلادي) لا ترقى إلى أكثر من القرن الميلادي الرابع ، وإن ابن وحشيّة شخصية ملفقة . وهذه الفكرة يردها نولدكه في عام 1875 ، مؤيّدا آراءه القديمة

في تاريخ الكتاب في القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي ، وأن مؤلفه هو أبو طالب ... ابن الزيات [148] .

ويرى كاتب مقالة ابن وحشية في دائرة معارف الإسلام[149] ، إن من مجموع آثار ابن وحشية تفوح مشابهة واضحة ، لأفكاره ، مع أفكار المدرسة الأفلاطونية الجديدة في سوريا التي أسسها جامبوليك . فهو ، مثل هذا الأخير ، يرى أنّ الإنسان يمكن أن يتصل مع الله بوساطة طقوس خفية ، وصيغ رمزية ، إن ابن خلدون الثاقب الفكر قد فهم ذلك[149] مؤكدا على عناية قدامى مؤلفي كتب النبات ، في كشف الصلات السرية بين روحانيات النبات ، وروحانيات الاجرام السماوية ، ومؤكدا أنّ كتاب الفلاحة النبطية مترجم عن الكتب اليونانية .

ويلخّص كاتب المقالة المذكورة[149] رأيه في أنّ الكتابات المعزوة إلى ابن وحشية يجب أن تعتبر نتيجة تعديلات وتنقيحات متتابعة للمواد العلمية القديمة ، التي حفظتها ووسعتها وعدلتها الهيلينستية السورية والإسكندرية المنقولة حتّى عصر تراجمة (بيت الحكمة) بوساطة مصادر إغريقية أو ترجمات فهلوية أو سريانية .

هذا ، ويسجل الكتاب ، قول ابن وحشية لمريده علي بن محمد الزيات : [151] «أعلم ، يا بنيّ ، أني وجدت هذا الكتاب في كتب الكسدانيين يترجم معناه فلاحة الأرض ، وإصلاح الزرع ، والشجر والثمار ، ودفع الآفات عنها ، وكان هؤلاء الكسدانيون ، أشدّ غيرة عليها ، لئلا يظهر هذا الكتاب ، فكانوا يخفونه بجهدهم . وكان الله ، عز وجل ، قد رزقني المعرفة بلغتهم ولسانهم ، فوصلت إلى ما أردت من

الكتب بهذا الوجه ، وكان هذا الكتاب عند رجل متميز ، فأخفَى عني علمه ، فلما اطلعت عليه ، لمته في إخفاء الكتاب عني ، وقلت له : إنك إن أخفيتَ هذا العلم ، ومر ومضَى ، لا يبقَى لأسلافك ذكر ، وما يصنع الإنسان بكتب عنده ، لا يقرأها ، ولا يخلي من يقرأها ، فهي عنده بمنزلة الحجارة والمدر ، فصدّقني في ذلك ، وأخرج إليّ الكتب ، فجعلت أنقل كتابا بعد كتاب ، هذا كتاب الفلاحة بتمامه وكماله ، لاستحساني له ، وعظيم ما رأيت من فائدته ومواقعه ، في إفلاح الأرض ، وعلاج الشجر ، وزكاء الثمار ، وتجويدها ، وزكاء الزروع ، والكلام على خواصّ الأشياء ...»

ولقد عالج الكتاب (استنباط المياه ، وهندستها ، وكيفية حفر الآبار ، والإحتيال في زيادة ماء البئر ، وإزالة البخارات الردية منها ، وإفلاح الأرض ، وعلاج الشجر ، وزكاء الثمار وتجويدها ، وزكاء الزروع ، والكلام على خواص الأشياء ، وخواص البلدان ، والأزمنة ، واختلاف طباع الأدوية ، وتراكيب الشجر ، وغروسها ، وافلاحها ، ودفع الآفات عنها ، واستخراج منافع المنابت والحشائش ، والمداواة بها ودفع العاهات عنها ، وعن أبدان الحيوانات ودفع آفات الشجر ، والمنابت بعضها ببعض ، وطرائف ما ركبوا من الأشياء ، حتّى حدث عنها أشياء غيرها إما قريبة منها ، أو بعيدة عنها ، ودليل مجيء المطر ، والبرد ، والصحو ، والسحاب ومعرفة ما ينتج من الزرع في أيّ سنة أردت ذلك[152]) .

أما كتاب (الدر المُلْتَقط في علم فلاحتي الروم والنبط) فقد ألفه محمد بن أبي بكر بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي ، المعروف بشيخ

حطين[153] وهو جامع لترجمة جملة كتب عن النبطية ، وعن الفلاحة الرومية ، وهو قريب جدا من كتاب الفلاحة لابن وحشية ، وكتاب الفلاحة الرومية لابن اسكدرا سكينه عالم الروم .

وقد جمع فيه أسماء أجناس النبات الثلاثة ، وهي : المشجر المخيم والمعرش المحدود ، والناجم المستأنف ، فكان الذي حصره عددا بالشام خمس عشرة شجرة ، أصلاً لفاكهة طيبة مأكولة ، هي جنس تحته أنواع ، وتحتهن أشخاص كلهن ذوات ثمر ، بنوى وحب ، وبعد أن عرض أنواعا مختلف من الشجر قسم الكتاب إلى أبواب :

- الباب الأول : في ذكر الشهور الأعجمية ، ومداخلاتها ، وما يعمله المعتني بأمر الفلاحة من عمل مخصوص بها .

الباب الثاني : في ذكر قواعد تجريبية حسابية من لوازم الكتاب ، كسماع الرعد ، ومعرفة مامضى من ليله ، بمغيب القمر وطلوعه ، ومعرفة الطالب والغارب والمتوسط ، ومن المنازل ، ومعرفة الأنواء ، والنظر في دلائل المطر .

الباب الثالث : في ذكر الرياح ومهابها ، وأمزجتها ، والنبات المتأثر بها ....

هذا وعدد أبواب الكتاب تسع وعشرون بابا ، وقد نقل مؤلف هذا الكتاب عن مؤلفين مختلفي الأجناس من روم ، وهنود ، وبابليين[154] .

وبعد سنوات قليلة من صدور كتاب الفلاحة النبطية صدر كتاب (الفلاحة الرومية) أو الفلاحة اليونانية . ويحمل هذا الكتاب ، الذي صدر في القاهرة عام 1293ـ 1876 ، اسم مؤلفه الذي هو قسطس بن

اسكدراسكينه الرومي ، وقد ترجمه سرجيس بن هليا[155] ، وترجمه كذلك قسطا بن لوقا البعلبكي ، وابو زكريا يحيى بن عديّ .

هذا ويشتمل الكتاب على اثني عشر جزءا ، وفي كل جزء جملة أبواب .... ففي الجزء الأول ذكر لأسماء شهور الروم وأسماء البروج ، والمنازل ، والدراري ، ومسير الشمس . وفي الجزء الثاني ذكر اختيار المساكن ، ومواضع المياه ، وما تعرف به الأرض الطيبة الزاكية ، وما يستعمل من السماد ، ومقدار المكائيل ، وما يصلح لأعمال الزراعة والرعي .

وفي الجزء الثالث ، ذكر ما لاغنَى للزارع عن معرفته من أحوال البذر وما يشاكله من الأرض ، وأوقات البذر والحصاد ، وأمور تتعلق بالدراس والخزن . وفي الجزء الرابع ذكر أمر الكرم وما يعمل منه وما يتعلق به وفي الجزء الخامس ذكر أمر البساتين وترتيب أمورها . وفي الجزء السادس ذكر غرس رقيق الأشجار التي تتخذ في البساتين ، وتركيبها وصيانة ثمارها وادخارها ، وما شاكل ذلك من مداواة الأشجار التي عرضت لها الآفة ، وما يحفظ به صحاحها من الآفات ، وخص بالذكر الزيتون .

وفي الجزء السابع ذكر المباقل والمقاثي ومنافعها . وفي الجزء الثامن الكلام على الخيل ونتاجها وتربيتها ومداواة أمراضها ، والمحمود من صفاتها والمذموم . وفي الجزء التاسع ذكر ما لا بد منه من أحوال الماشية وفي الجزء العاشر ذكر أمر الطير ، على نحو ما ذكر من أحوال الماشية ، وفي الجزء الحادي عشر ذكر أحوال البشر وشيء من العلاج والزينة ، وفي الجزء الثاني عشر ذكر أمور جعلها تتمة للكتاب .

ونجد ، في كل من الكتابين عن الفلاحة النبطية والرومية . معلومات معقولة حول ممارسة الفلاحة ، إلى جانب توصيات خرافية[156] .

وتبدأ كتب الفلاحة العربية تأليفا ، في مصر ، في العهد الأيوبي حيث نلقى كتاب ابن المَماتي (المتوفّى 606هـ ـ 1209م) (قوانين الدواوين[157]) ، وفي القرن التالي كتاب جمال الدين بن الوَطْوَاط (المتوفي سنة 718هـ ـ 1388م) (مباهج الفكر ومناهج العبر) الذي خصص جزءه الرابع للنبات والزراعة ، وفي القرن العاشر الهجري ـ السادس عشر الميلادي ألف رياض الدين الغزي الأميري (توفّي عام 935هـ ـ 1521م) كتابا ضخما في الفلاحة ، لم يصلنا ، ولكن عبد الغني النابلسي (مات 1143هـ ـ 1731م) قد لخصه في كتاب بعنوان (أعلام المِلاحة في علم الفِلاحة) الذي نشر بدمشق في عام 1299هـ ـ 1882م[158] .

وهناك ، إلى جانب الكتب التي قدمنا ، كتب أخرى أقل أهمية ككتاب الفلاحة المنتجة تأليف طيبغا الجركسي التماد تمري ، وهو في إصلاح الأراضي والزروع ، وغرس الأشجار وتدبيرها وعلاج أدوائها وصرف المهالك عنها ، وذكر ما فيها من المنافع والمضار لأبناء البشر ، وتركيب الشجر ، وأكل الثمار وتجويدها ، وغير ذلك من المنافع والخواص وذكر الأزمنة والفصول الأربعة[159] و (كتاب بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين) ، تصنيف السلطان المعظم ، الجامع بين فضيلتي السيف والقلم ، العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، والذي تشجع في تأليفه بعد مطالعة الكتب المدونة في الفلاحة ، وجعله مشتملا على مقدمة وأبواب وخاتمة ، والأبواب عدتها سبعة عشر

بابا في الأرض ، والسماء ، والمياه ، وأوقات الفلاحة والزراعات ، والقطاني والبقول والخضروات والبزور والرياحين والأشجار المثمرة ، وتركيب الأشجار ، والخواص ، ودفع الآفات ، وفي منافع الحبوب والثمار والرياحين ... والكتاب مطابق لأحوال اليمن خاصة ، وقد ذكر مؤلفه فيه كثيرا من الأسماء الخاصة بأهل اليمن والمعروفة عندهم[160] .

وكتاب (مفتاح الراحة في علم الفلاحة) ، لمؤلف مجهول ، وهو لا يخرج عن سائر كتب الفلاحة التي تقدمته ، إذ أنه نقل عن ابن وحشية وابن بصال ، وعن أبي حنيفة ، وعبد اللطيف البغدادي وهو في مقدمة (إمكان نقل بعض المولودات) وعشرة أبواب تعالج الموضوعات التي عالجتها الكتب السابقة التي عرضنا لها[161] .

ويعالج مؤلفو كتب الفلاحة العرب القدامى ، بصورة عامة الموضوعات التالية[162] : قضايا الأرض الزراعية واختيارها ، الزبل والسماد ، آلات الحقل والأعمال فيه ، الآبار ، والسواقي ومياه الساقية ، الغراس والمشاتل والزرع ، والقطع ، وتطعيم الأشجار المثمرة ، زراعة الحبوب والبقول ، والزهور ، والنباتات البصلية ، والعسقليات ، ونباتات الرائحة ، والنباتات ، والحيوانات ، وحفظ الفواكه ، والتدجين أحيانا .

ويلاحظ أن مؤلفي هذه الكتب كانوا يستعملون تعابير زراعية مولدة كانت تميز النباتات المخصبة من النباتات المتعبة . كما أن قواعد الزراعة لم تكن مجهولة منهم ، كذلك قواعد المناوبة والدورة الزراعية . ولقد كان تحت تصرف علماء الفلاحة الأندلسيين العرب حدائق نباتات وحقول أبحاث ، كانوا يقومون فيها بتجاربهم على نباتات بلدية ودخيلة ، ويمارسون فيها طرائق التطعيم ويحاولون جاهدين خلق أنواع جديدة من الثمار

والزهور . إن مؤلفاتهم تتضمن أسماء أصناف عديدة من الثمار والحبوب والزهور وسائر النباتات المزروعة . وهكذا عد البدريّ (القرن التاسع الهجري ـ الخامس عشر الميلادي) في كتابه (نزهة الأنام في محاسن الشام) ، واحدا وعشرين صنفا من المشمش وخمسين نوعا من العنب ، وستة أصناف من الورود ، كانت توجد في سورية .

ليس لجميع هذه المؤلفات العربية في الزراعة ، المستندة إلى الملاحظة وحدها ، من قيمة سوى القيمة التاريخية والمصطلحية ، إن علينا انتظار حلول القرن التاسع عشر لكي نشهد ، في مصر ، ظهور أول مؤلف زراعي عربي يستند إلى العلوم الحديثة : إنه منسوب إلى أحمد ندا الذي ألف ، بعد عودته من بعثة دراسية إلى فرنسا ، كتابًا ، في مجلدين سماه (حسن الصناعة في علم الزراعة) ، وطبعه في القاهرة عام 1291 ـ 1874 .

هذا ويوجد من ناحية المصطلحات ، قاموس متطور لمصطفى الشهابي ، بعنوان معجم المصطلحات الزراعية ، فرنسي عربي ، مطبوع في دمشق 1943 ، وفي القاهرة 1957 ، ويتضمن ما يقرب من عشرة آلاف مصطلح معرف بها بإيجاز باللغة العربية .

واللغة العربية غنية بالمفردات الزراعية التي تتعلق خاصة بالنخيل والكرمة والحبوب ، والنباتات الصحراوية (ينظر المخصص لابن سيده مثلا) ، وقد زودها خيال قدامى الشعراء بأدب واسع وأصيل حول خواص النبات وعلاقاته بالإنسان . فلم يذكر الشعراء أو يصفوا الأزهار (الورود ، والنرجس والياسمين ، والبنفسج ، والقرنفل والسوسن وشقائق النعمان) ، والثمار (التمر والمشمش ، والتفاح ، والكمثري ، والخوخ

والرمان ، والعناب والزعرور والسفرجل والنارنج) فحسب ، بل وضعوا أيضا عددا وافرا من الخضر والبقول ونباتات الحقول العفوية .

وهذا البحث بحاجة إلى أن يخص تراث العرب الفلاحي في الأندلس بقسم خاص ،لازدهار الزراعة والفلاحة بالأندلس في عهد العرب إزدهارا بديعا ، لعليه يعود إلى استعداد أرضها ، واعتدال مناخها ، وكثرة انهارها ، فكان ذلك كله عوامل في صلاح هذه البلاد ، ونجاح العرب في استثمارها واستغلال أرضها[163] .

ولقد كتب العرب الأندلسيون كثيرا في فلاحة بلادهم ، بعد أن اطلعوا على فلاحة البلدان الأخرى ، المشتهرة بالفلاحة ولقد درسوا الفلاحة الشرقية ، ونقلوا كثيرا عن كتب اليونان والرومان ، وكتب الفلاحة المشرقية ، ويشاهد هذا النقل في كتبهم ، عن جالينوس ، وأرسطو ، وأناطوليوس ، وقسطوس ، وديمقراطس ، وغيرهم من مؤلفي اليونان ، كما نقلوا عن الرازي ، وثابت بن قرة ، وأبي حنيفة الدينوري ، ونقلوا الفلاحة النبطية عن كثير من حكمائها .

ولقد ازدهر تراث العرب الأندلسي في الفلاحة في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، الحادي عشر والثاني عشر الميلادي ، في مدن قرطبة وطليطلة وغرناطة والمريّة .

أبو القاسم الزهراوي صاحب أول كتاب فلاحي أندلسي هو (مختصر كتاب الفلاحة[164]) . وابن وافد الطبيب المشهور (توفي في عام 467 هـ ـ 1075 م) الذي كلفه المأمون ، ملك طليطلة ، وهاوي الحدائق إنشاء جنة السلطان ، ألف (مجموعا) في الفلاحة ترجم إلى اللغة القشتالية منذ

العصور الوسطَى . وابن بصّال (من طليطلة أيضا) محمد بن إبراهيم ، الذي قام بالحج ، فاطلع في طريقه على بلاد كثيرة عاد منها بملاحظات عديدة وضعها في خدمة المأمون نفسه ، وألف له كتابا ضخماً دعاه (ديوان الفلاحة) ، ثم أوجزه في مجلد واحد سماه (كتاب القصد والبيان) في ستة عشر باباً ، وكان قد ترجم في القديم إلى اللغة القشتالية ، وطبع مؤخرا في عام 1955 وترجم من جديد إلى اللغة الإسبانية . ولقد هاجر ابن بصّال إلى إشبيلية (بعد عام 478ـ 1085) ، عام سقوط طليطلة بيد الإسبان ، حيث أنشأ للمعتمد بن عباد حديقة ملكية . وحيث التقَى عليٌّ بن اللَّقون تلميذ ابن وافد ، الذي يهتم بالفلاحة أيضا ، وأبا عمر أحمد بن محمد بن حجّاج الإشبيلي مؤلف عدة كتب في الفلاحة ، بينها كتابه (المقنع) المؤلف في عام 466 هـ ـ 1073 م ، وأبا الخير الإشبيلي ، الذي ألف كتابا في الفلاحة مجهولا ، ولكن ابن العوام يذكره كثيرا . في إشبيلية تعلم على ابن بصال وابن اللَّقون النباتي الإشبيلي الكبير ، الذي عرف بابن عبدون والذي ألف (عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب) ، وهو معجم نباتي هام .

ووجد في غرناطة أبو محمد بن مالك التغراني الذي كان شاعرا اتصل بالأمير تميم بن يوسف بن تاشفين أمير غرناطة (بين سنتي 501 و 512 هـ ـ 1107 ـ 1118 م) ، والذي ألف له كتابا في الزراعة بعنوان (زهرة البستان ، ونزهة الأذهان) ، في اثني عشرة مقالة ، يذكره ابن العوّام كثيرا في كتابه[165] ، الذي سنخصه مع صاحبه ببحث مفصل في نهاية هذا البحث ، مشيرين إلى أنه حول منتصف القرن الثامن الهجري ـ الرابع عشر الميلادي ألّف متأدب من المرّية هو أبو عثمان سعيد بن أبي جعفر أحمد

بن ليون التجيبي (توفي 750 هـ ـ 1349 م) كتابه (إبداع الملاحة، وإنهاء الرجاحة في أصول صناعة الفلاحة) ، الذي هو أرجوزة هاوٍ ، اعتمد فيها على مؤَلّفيْ ابن بصّال والتّغراني ، مع وجود معلومات مقتطفة مما شافَهَ به أهل التجربة والإمتحان[165] .

كتب الفلاحة هذه تتضمن أكثر بما تشي به عناوينها ، إنها في الواقع موسوعات حقيقية في الإقتصاد الريفي المستند إلى مخطط موازٍ للمخطط الذي اعتمده كوليميل Columelle في مؤلفه De Rustica لا شك أن المهم في هذه المؤلفات معالجة (فلاحة الأرضين) : أي دراسة الأرض والمياه ، والأسمدة ، زراعة الحبوب والقرنيات في الحقول ، والسقاية ولكنها تعالج مطولا موضوع الأشجار المثمرة (الكرمة والزيتون والتين منها خاصة) ، مع متمّات ذلك من تقليم وتطعيم ، وبستنة ، وزراعة نباتات أشجار الزهور ، كذلك تأخذ (فلاحة الحيوانات) فيها مكانا كبيرا ، مثل تربية الماشية ، وحيوانات النقل ، والدواجن ، والنحل ، وما يتصل بذلك من بيطرة . إن هذه المفاهيم تستكمل بفصول حول الإقتصاد المنزلي : إدارة المزرعة ، واختيار العمال الزراعيين ، وحفظ المحاصيل الخ .... وتخصص بعض من هذه المؤلفات فصولاً للتقويم الزراعي الفصلي .

ولقد كان بين هؤلاء المؤلفين من اتصل بمن لهم خبرة عملية كالفلاحين والشجارين والجنانين ، وكان بينهم أيضا علماء ، عشابون ونباتيون ، وأطباء يهتمون بالأدوية المعزوة فحسب ، كما كان بينهم حكماء متكلمون .

وكانت مؤلفات الفلاحة العربية الأندلسية أحيانا نتاج أدباء مشاركين متفنين . هنالك ابن وافد الذي كان طبيبا قبل كل شيء ، وكان الحجّاج

إماما وخطيبا ، والتِغراني ، وابن ليون معروفين شاعرين ، كما ان ابن عَبدون النباتي يمكن أن يكون هو نفسه مؤلف كتاب في الحِسبة .

وإننا لنذكر بهذه المناسبة أرسطو الذي كان فيلسوفا وعالم نبات ، ومؤسّس حديقة نبات .

لقد عرف النباتيون الأندلسيون العرب معرفة تامة ، نتاج العهود القديمة واستفادوا منها ، ونحن نجد قائمة بها ، ومحرفة أسماء مؤلفيها في مفتتح طبعة كتاب ابن العوام وترجمته إلى الإسبانية من قبل (بانكيري) ، وهم يفيدون من بين المؤلفات العربية من كتاب النبات للدينوري، ومن كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية خاصة . وهم لم يضطروا بالطبع إلى إعادة أقوال أسلافهم ، بل كانوا يقدمون ملاحظات ويقومون بتجارب شخصية ، ويلائمون مؤلفاتهم مع حقائق التربة والمناخ الأندلسيين . وهم قد أدخلوا فصولا أصيلة حول زراعة النباتات الجديدة كالرز ، وقصب السكر ، والنخيل والقطن والكتان ، والمشمش ، والكمثري والخوخ والبطيخ ، والباذنجان ، والبطيخ الأخضر ، والزعفران الخ ....

ولقد رأينا أن كتابين في الفلاحة قد ترجما منذ العصور الوسطَى إلى اللغة القشتالية ، إن كتاب ابن وافد منهما قد أفاد منه ، على نطاق واسع ، النباتي الإسباني الفونسو دهيريرا في كتابه (الزراعة العامة Agricultura général) .

ومن الجدير بالتسجيل أخيرا أنه في إسبانيا المسلمة وفي طليطلة وإشبيلية منها ، ومنذ القرن الخامس الهجري- الحادي عشر الميلادي ظهرت أوائل حدائق النبات المِلكية ، في أوربا ، التي كانت في آن واحد

حدائق للمتعة والبهجة ، وحدائق للتجارب والدراسة توصلاً إلى أقلمة النباتات المجلوبة من الشرقين الأدنَى والأوسط . ولقد كان على العالم المسيحي أن ينتظر منتصف القرن السادس عشر ليرى إنشاء مثل هذه الحدائق ، في المدن الجامعية الإيطالية[166] .

ابن العــوَّام

ومؤلفه :« كتاب الفـــلاحة »

وإنما نخص ابن العوّام بهذا البحث المفصل لأنه من أعلام من ألفوا في هذا الميدان ، ولأن كتابه في الفلاحة مطبوع منذ عام 1802 م ومترجم إلى الإسبانية وإلى الفرنسية (167) ، فضلا عن أنه كان موضع عناية ودراسة وتقويم من قبل المستشرقين ومؤرخي العلم العرب ، وأنه كتاب ضخم ، جيد الترتيب ، غنّي في مادته ، وقد أحسن الأخذ عمن سبقه من العلماء العرب وغير العرب ، مما يدفعنا إلى القول إن كتاب ابن العوام في الفلاحة دائرة معارف في موضوعه (168) ، وموسوعة تعطي فكرة وافية عن الفلاحة لا عند ابن العوام فقط ، بل عند الأندلسيين وعند العرب عامة ، فضلا عن الأثر الذي تركه في كتابات الأسبان (168) .

ولا نكاد نعرف شيئا عن حياته ، كل ما نعرفه أنه كان يعيش حوالي نهاية السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، وأن أصله من إشبيلية (169) .

وقد قدم ابن العوَّام لكتابه بمقدمة طويلة رائعة ضمنها بعض الأحاديث الشريفة مثل « اطلبوا الرزق في حنايا الأرض ، ومن غرس

غرسا أو زرع زرعا ، فأكل منه إنسان أو طائر أو سبع كان له صدقة ، ومن غرس غرسا ، فأثمر ، أعطاه الله من الأجر بعَدَد ما يخرج من الثمر» كما أورد بعض الأقوال المأثورة مثل قول قيس بن عاصم لبنيه : «عليكم بإصلاح المال ، فإنه منبهة للكريم ، ويستغني به عن اللئيم[170] »

وقد سمّى ابن العوّام المراجع والمصادر التي استقى منها ورمز لمؤلفيها بحروف ، لا يفتأ يذكرها ، كلما أراد ، فالغرناطي (غ) وجالينوس (ج)، وقسطوس (ق) وأرسطو (طط) وطامتري (ط) .

قال : «واعتمدت على ما تضمنه كتاب الشيخ الفقيه الإمام أبو عمر بن حجّاج رحمه الله المسمّى (بالمُقنع) وهو الذي ألفه سنة 466 . وهو مبني على آراء أجلّة الفلاحين والمتكلمين ، نقل فيه نصوص أقوالهم وعزاها إليهم وعددهم ثلاثون رجلا ، والمقربون منهم يونيوس ، وفاروق ولاقطيوس ، ويوفنطوس ، وطارطيوس ، وبندون ، وبربعاوس وديماقراطيس الرومي ، وكسينوس ، والمتأخرون في زمانهم منهم الرازي ، وإسحاق بن سليمان ، وثابت بن قرة وأبو حنيفة الدينوري وغيرهم ممن لم نسمه .

« واعتمدت أيضا مع ذلك على ما استحسنته ممّا تضمنته الكتب المذكورة بعد هذا ، منها كتاب الفلاحة النبطية ، وكتاب الشيخ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن البصّال وهو المبني على تجاربه ، وعلى كتاب الشيخ الحكيم ابن الخير الإشبيلي رحمه الله ، وهو مبنيّ على آراء جماعة من الحكماء والفلاحين ، وكتاب الحاج الغرناطي[170] »

والكتاب جزءان ، يقع الأول في ستة عشر بابا ، والثاني في ثمانية

عشر بابا . وقد خص الجزء الأول في معرفة نوع الأراضي ، وأنواع الأسمدة والمياه والبساتين ، واتخاذ الأشجار المعتاد زراعتها ، والبقول في أغلب بلاد الأندلس ، ويتكلم في الباب الثامن عن تركيب بعضها في بعض ، وعن تقليم الأشجار ، وعن حرارة الأرض المغترسة ، وتسمية الأشجار التي توافقها ، ثم يذكر تزبيل الأرض والأشجار المغروسة ، وغير المغروسة ، وما يوافق كل نوع من الزبول ، وعلاج الأرض المالحة ، وكيفية التسميد ، ثم صفة العمل في سقي الأشجار ، والخضر بالمياه ، وما يحتمل السقي الكثير وهو يصف عملية تذكير الأشجار ، ويتحدث عن الأشجار المتحابة والمتنافرة ، ويفرد بابا خاصا لعلاج الأشجار من الداء والأمراض (هو الباب الرابع عشر) ، ويتحدث في الباب الخامس عشر عما أسماه ملحا مستطرفة تعمل في بعض الأشجار والخضر ، وتغيير لون الورد ، وتدبير الورد حتّى يورد في غير وقته ، والتفاح حتّى يثمر في غير أيامه ، ويشرح كيفية العمل في اختزان الحبوب والفواكه الغضة واليابسة والتخليل وغيره .

ويتحدث بدءا من الباب السابع عشر (وهو أول الجزء الثاني) عن كيفية عمل القليب ومنفعته ، وإصلاح الأرض بعد كلالها ، وما يريح الأرض ويصلحها من الحبوب والقطاني ، واختيار البذور ، واختيار ما يصلح لكل نوع من الحبوب من أنواع الأرض ، ومعرفة أوقات الزراعة ، وصفة العمل في زراعة الرز والذرة والدّخْن ، والجلبان واللوبيا سقيًا وبعلاً ، ثم زراعة القطاني سقيا وبعلا ، وكذا الكتان والعنب والقطن ، وبصل الزعفران والفول ، ثم اتخاذ المباقل واختيار أرضها ، وذكر ما يصلح أن ينقل ، ويخصص أبوابًا متتابعة لزراعة البقول ذوات

الأصول مثل ، السلجم والجزر والفجل ، ثم القثّاء والبطيخ والباذنجان والحنظل، ثم البذور المستعملة في الأدوية كالكمون والكزبرة والكراوي، ممّا يمكن أن يسمّى النباتات الطبية ، ويخصص فصلا للرياحين ، وآخر لأنواع النبات التي تتخذ منه الجنان ، وثالث لاختيار البيادر والمدارس ، حيث تجمع المحاصيل وتدرس ، وخصص الباب الثلاثين لاختيار مواضع البنيان ووقت قطع الخشب لذلك ولمعاصر الزيت ، وكيفية تحصين الكروم والجنان بغير حائط ....

أما الأبواب الأربعة الأخيرة من الكتاب فقد خصصها ابن العوام لما يمكن أن نسميه تغذية الحيوان وتربيته ، وأمراضه ، والحديث عن كيفية اختيار الجيد ، ومدة الحمل ، وما يصلح من العلف ، وعلاج بعض أدوائها ، ثم التسميد والعلف ، ورياضة الأمهار ، ثم علاج بعض علل الدواب ، مما يمكن أن يسمّى بيطرة ، وتحدث في فصل خاص عن اقتناء الحيوان الطائر في البيوت مثل الحمام والأوز والدجاج ، ونحل العسل ، ثم اقتناء الكلاب المباح اتخاذها للصيد والزرع والماشية ، ومعرفة جيدها وسياستها وأقواتها .

ومن هنا نرى أن الكتاب يعالج كل العلوم الزراعية ، في أسلوب سهل جذاب، لا تملّ قراءته، أسلوب اتّسم بالأمانة في العرض، والاستشهاد بأقوال غيره ، ثم يتبع ذلك بقوله : (لي) وذلك حين يعرض رأيه هو[171] .

وننقل ، لإعطاء فكرة عن الكتاب ، الفقرة التي يتحدث فيها ابن العوام عن الكُمّثري[172] :

«أما صفة العمل في غراسة شجر الكُمّثري الذي يسميه العامة الإجاص ، فقد قال خ : هو نوعان : جبلي وبستاني ، وهو أنواع ، منه السكريّ والذكريّ ، والقرعيّ ، والسِّراجي ، وغير ذلك .

«وفي ق : من الكمثري حلو ومنه مر ، ومنه قليل الماء وكثير الماء ، ومنه كبير ومتوسط وصغير» .

«ومن كتاب أبي حجاج رحمه الله : قال يونيوس : إن جنس الكمثري يحب المواضع الباردة والكثيرة المياه ، المخصبة ، وله أنواع كثيرة ، ويغرس على فنون من فروع تنتزع من الشجر ، ويغرس أيضا أنقال الجلوب ، ويغرس أيضا وتده ، وقد يمكن غرس حب ثمره .

«قال يونيوس : ومن الناس من يفعل فعلا ، أجود من هذا كله وذلك أنهم يطعمونه بأكثر مما يغرسونه ، فيحولون شجر كمثرى ، بريّ بأصوله من مواضع الغابات ، ويغرسونها على ما وصفنا ، حتّى إذا استحكمت هذه الغروس ، يطّعمونها بأجناس الذي يريدون .»

«قال قروراطيقوس : إذا غرست الكمثري في البعل الذي لا سقي له ، فاغرسه أول الخريف ، وإن غرسته تحت سقي ، فاغرسه في ثمانية أيام ماضية من شباط إلى نصف آذار ، ويحب شجره الأمكنة الباردة الرطبة ، وليس هو مما يحب الأرض الصلبة .

«ومن غيره : يوافق الكمثري الأرض الطيبة والمودكة المرتفعة والباردة الممرحة برمل يسير ، ويصلح في الأرض السهلة غير النزحة ولا السبخة ، وينافر الأرض السوداء ، والخنادق ، وقيل لا توافقه الأرض الحرْشا ، وقيل بل توافقه وقال ديمقراطيس تنقَى الحفرة التي تغرسه فيها من الحصبا ،

والأشياء الحاسية وتوضع الغراس فيها ويلتقَى عليها تراب قد غربل ويسقَى بالماء قالوا : ويتّخذ من القضبان النابتة عند أصوله وفي عروقه أيضا مقتلعة بعروقها ومكبسة بمواضعها ثم تَقتلع ، ومن حب ثمره أيضا ، ومن أوتاده وليكن طول الوتد منها نحو ثلاثة أشبار ، ومن ملوخه ، ويغرس ذلك في يناير وفي فبراير ، على أمهات السواقي وفي أرض سواها ، لا تخلو منها رطوبة السقي بالماء ، ولا بد ، ولا يغفل عن سقيها ، وإن استمر جري الماء عليها دايما من غير أن يبقَى في أرضها فذلك أجود لها . ويزرع حب ثمره في الظروف ، وهو من الزراريع الضعاف . ويغرس نقله في حفرة عمقها نحو أربعة أشبار وازيد ، على كبر قدر النقلة . وقيل : يجعل النقل ، في الحفرة عند غراسة النقلة خاصة ندية ، ثم تطمر غراستها بتراب وجه الأرض ، وقت غراسة النوع البستاني منه : إنه إن غرس من أول فبراير إلى أول يوم من إبريل ، فإنه يكون أقرب إلى النجابة والعلق ... » .

هوامـش وتعليقـات

(137) أحمد عيسَى بك ، تاريخ النبات عند العرب ، ص 95 .

(138) مصطفَى الشهابي ، مقالته عن (الفلاحة) في الطبعة الجديدة من دائرة معارف الإسلام ، النسخة الفرنسية المجلد الثاني ، ص 920 وقد ترجمنا النص هنا حرفيا لأهميته .

(139) أحمد عيسَى بك ، المصدر السابق ص 97 .

(140) الفهرست لابن النديم ص 311 و ت. فهد ، مقالة ابن وحشية في النسخة الفرنسية من الطبعة الجديدة لدائرة معارف الإسلام ، المجلد الثالث ص 988 .

(141) ت. فهد ، مقالة ابن وحشية المشار إليها سابقا ص 988 .

(142) أحمد عيسَى بك ، المصدر السابق ص 97 .

(143) مقالة مصطفَى الشهابي في دائرة معارف الإسلام ، المشار إليها فيما سبق ص 920 .

(144) مقالته عن ابن وحشية في دائرة معارف الإسلام المشار إليها سابقا ص 988

(145) مقالة : خواطر حول النبط ، في المجلة الآسيوية ، المجلد الخامس عشر (1835 ، وفي جريدة العلماء آذار 1875

(146) ماير ، Gesch Der Botanie المجلد الثالث 1853 ص 43 ــ 89

(147) عناوين بقية آثار ابن وحشية والحديث عنها في مقالة توفيق فهد في دائرة معارف الإسلام المشار إليها سابقا ص 989 : وهي : المستهام في معرفة رموز الأقلام ، كتاب تانكالوشا ، كتاب السموم ، كتاب الأصول الكبير ، كتاب كشف الرموز ، كنز الحكمة ، مطالع الأنوار ، وفي المقالة حديث عن كل منها وأماكن تواجد مخطوطاته .

(148) تفاصيل هذه المناقشات في مقالة توفيق فهد في دائرة معارف الإسلام المشار إليها سابقا في صفحتي 988 و 989 .

(149) مقالته المشار إليها سابق ص 990 .

(150) ابن خلدون المقدمة ج 3 ص 120 ــ 165

(151) سرده أحمد عيسَى بك في مصدره السابق ص 98 و 99 .

(152) تلخيص أحمد عيسَى بك ، في تاريخ النبات عند العرب ص 99 .

(153) توجد نسختان منه في دار الكتب المصرية ، ينظر كتاب أحمد عيسَى بك المذكور أعلاه ص 100 .

(154) تلخيص الأبواب لدى أحمد عيسَى بك ، المصدر السابق ص 101 و 102 و 103 .

(155) أحمد عيسَى بك ، المصدر السابق ص 95 ، ومقالة الفلاحة التي كتبها مصطفَى الشهابي بدائرة معارف الإسلام ج2 ص920 ، وكشف الظنون ج2 ص 447 .

(156) مصطفَى الشهابي ، مقالته المشار إليها ، ص 921 .

(157) نشرته في القاهرة الجمعية الملكية للزراعة .

(158) استفدنا من أجل الكتب ومؤلفيها من مقالة الشهابي المشار إليها سابقا ص 921 ، ومن كتاب أحمد عيسَى بك ، مصدر سابق ، ص109 وما بعد .

(159) أحمد عيسَى بك ، المصدر السابق ص 109

(160) أحمد عيسَى بك ، المصدر السابق ص 110

(161) أحمد عيسَى بك ، المصدر السابق ص 112

(162) استفدنا من أجل تحديد هذه الموضوعات من مقالة مصطفَى الشهابي المشار إليها سابقا ص 921

(163) أحمد عيسَى بك ، المصدر السابق ص 104

(164) مقالة فلاحة المشار إليها في دائرة معارف الإسلام ص 922

(165) ملخص عن مقالة فلاحة المشار إليها ، ص 922

(166) اعتمدنا في الصفحات الأخيرة اعتمادا حرفيا على مقالة (فلاحة) في دائرة معارف الإسلام ، النسخة الفرنسية من الطبعة الجديدة لأننا وجدناها وافية بالفرض .

(167) كان كازيري Caziri ، في فهرسه ، أول من نبه الأذهان إلى المخطوط الكامل لكتاب ابن العوام المحفوظ بمكتبة الأسكوريال وقد نشر تلميذه بانكويري Banqueri هذا الكتاب مع ترجمة إسبانية عام 1802 ، وترجمة كليمان موليه Clement Mullet إلى الفرنسية عام 1864 ، عنوان الترجمة الإسبانية T. A. Banqueri

Libro de Agricultura Su autor, et doctor excellente Alm zacaria Iahia Eben El Awam, Madrid 1802

وعنوان الترجمة الفرنسية Clement Mullet, le livre de l'Agriculture d'Ibn Al-Awam, Paris 1864-1867 3 V.

(168) بالانثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 175

(169) دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية ، المجلد الأول ص 245 ودائرة معارف الإسلام ، النسخة الفرنسية من الطبعة الجديدة المجلد الثاني ص 922 .

(170) ابن العوام ، كتاب الفلاحة ، طبعة بانكويري ، مدريد 1802 ج1 ص7 ـ 11

(171) عبد الحليم منتصر ، تاريخ العلم ص 181 ـ 182

(172) ابن العوام ، كتاب الفلاحة ، ج 1 ص 260 ـ 261 ، 262 .

الفصل الرابع

النبات في آثار الجغرافيين والرحالة والموسوعيين العرب

لم يكن اللغويون والأطباء والصيادلة والمهتمون بمهنة الفلاحة وحدهم الذين اهتموا بعلم النبات في تراثنا العربي ، بل تناوله كذلك بالبحث والتأليف فيه ، والمرور به ، الجغرافيون والرحالة ، والموسوعيون العرب . بل إن من هؤلاء من أضاف إلى مؤلفاته في الجغرافيا أو الرحلة ، مؤلفا خاصا في النبات كالأدريسي والقزويني وعبد اللطيف البغدادي ، والوطواط والبكري وسنمر سريعا بأسماء هؤلاء الذين اهتموا بالنبات إلى جانب اهتماماتهم الأخرى ، ثم نفصل بواحد أو اثنين منهم مفردين حديثا خاصا للمؤلف الذي ظهر فيه اهتمام بعلم النبات .

الجغرافيا : علم يعنَى بوصف سطح الأرض وما عليه من مظاهر ، ثم يصف الظاهرات المختلفة ويحللها ، ويربط بينها ليستخلص منها قوانين عامة[173] . ولم ينشأ هذا العلم نشأة مفاجئة ، بل تعود جذوره إلى العصور القديمة المصرية والبابلية ، ثم كان اليونان أول من درسه دراسة أصولية فقال أرسطو بكروية الأرض ، وحدد المناطق المعمورة منها . كما

عني استرابون بالجانب البشري ، ومدى تكيف الإنسان مع الوسط الطبيعي الذي يعيش فيه ففتح آفاقا جديدة للدراسات الجغرافية[174] وقد بلغت هذه الدراسات القديمة ذروتها حينا وضع بطليموس كتابيه المعروفين :

الجامع (وقد ترجمه العرب باسم المجسطي) ، والمدخل إلى الجغرافيا (وقد ترجموه باسم جغرافيا[174])

وقد كانت الحضارة العربية حلقة الوصل بين القديم والحديث : فلقد حافظ العرب على أروع ما في التراث الذي خلفته الأمم قبلهم ، وأضافوا إليه خلال سبعة قرون من الإزدهار الحضاري ، ما تجمع لديهم من المعرفة الجغرافية عن طريق الرحلات الواسعة التي سجلوا مشاهداتهم فيها بدقة ووضوح ، وعن طريق الأجهزة العلمية التي ابتكروها ، أو حسنوا فيها ، مفيدين من تفكيرهم الحر الذي لم تقيده أغلال كتلك التي فرضت على التفكير الأروبي طوال العصور الوسطى .... وهكذا خلقوا مجموعة ضخمة من الكتب الجغرافية ، ومن الآلات التي تستعمل من أجل هذا العلم ، واستمرت جهودهم في تطوير الفكر الجغرافي دون انقطاع حتى كان عصر النهضة الأوروبية والكشوف البحرية العظمى[175] . وقد أنفق المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي أربعين عاما في دراسة تراث العرب الجغرافي ، وخرج بعد هذا بكتابه القيم الممتاز (تاريخ الأدب الجغرافي العربي) الذي يعد «قمة اهتمام العلماء الأوربيين بهذا العلم[176] » ، وموسوعة علمية فريدة لم يكتب لها مثيل من قبل[177] .

ولقد كان هناك اتجاهان أساسيان في الأدب الجغرافي العربي :

(أ) اتجاه يولي وجهه شطر العلوم الدقيقة ، بالمعنَى الذي نفهمه حاليًا إذا ما أردنا تحديد علم الجغرافيا .

(ب) واتجاه يولي وجهه شطر الأدب الفني بالغا ببعض آثاره في هذا المجال ذروة الإبداع .

لقد أدرك العرب أنفسهم هذا الطابع المزدوج لعلم الجغرافيا ، وبينوه بدقة ، في تصنيفهم للعلوم ، لقد ضموا الجغرافيا إلى العلوم الدقيقة ، وجعلوها أقرب ما تكون إلى الفلك ، وهم لم يتنكبوا الصواب في ذلك . وتشكل بموازاة ذلك منهج الجغرافيا الوصفية التي يرتبط بها ارتباطا وثيقا ، وهو قصص الرحلات ، إن منهجهم في هذا المجال ، يسترعي النظر بغزارة مادته ، ويسبغ عليه طابعا مميزا ، ويعطيه شكلا خاصا ، يصعب ايجاد مثيل له في آداب الأمم الأخرى[178] .

أما (الرحلة) في تاريخ البشر ، فمحاولة لتعرف الإنسان بلاده ، والبلاد الأخرى... والرحلات قديمة ، عرفها المصريون والفينيقيون والرومان[179] . وقام العرب بالرحلات بغرض التجارة في جزيرتهم ، وفي بلاد الشام والعراق ، واشتهرت قريش برحلتي الشتاء والصيف . ولما جاء الإسلام ، وتمت الفتوحات كثرت دواعي الرحلة ، فكان الحج ، والفتوح ، والتجارة ، وطلب العلم ، وتنظيم طرق البريد ، والسفارات ، وشوق العربي الطبيعي إلى المجهول ... عوامل أساسية دفعت العرب المسلمين للقيام بالرحلات[180] ، تلك الرحلات التي كان من نتائجها ، كتب كثيرة دونوا فيها مشاهداتهم في مؤلفات جمعت الصفتين الأدبية والعلمية في آن واحد ، وكانت «من أهم فنون الأدب العربي[181] .»

ضمت كتب العرب في الجغرافيا والرحلات أموراً كثيرة تتعلق بالنبات ، عالجها الجغرافيون والرحالة العرب بشيء من الإيجاز أحيانا ، وبشيء من التفضيل أحيانا أخرى .

وتبدأ الجغرافيا أحيانا شديدة الصلة باللغة ، فلقد وضع النَّضْرُ بن شُميل (توفّى عام 203 هـ 818 م) ، وهو من أصحاب كتب الأنواء ، ما يشبه موسوعة قائمة بذاتها في الحياة البدوية بعنوان (كتاب الصفات) .... وهو كتاب كبير ، الجزء الخامس منه يحتوي على الزرع والكرم والعنب وأسماء البقول والأشجار[182] . وإذا كان هذا الكتاب لم يصلنا فقد نقل عنه كثيرا ، كما يزعم الوراقون ، معاصره الأصغر منه سنًّا أبو عبيدة ، في معجمه (غريب المُصنَّف)[183] .

ويأتي أبو العباس أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المشهور باليعقوبي (المتوفّى سنة 284 أو 292 هـ ـ 897 ، 905م) أول جغرافي يذكر النبات في كتبه ، فلقد كان رحالة يحب الأسفار ، ولقد ساح من أجل ذلك في بلاد الإسلام ، شرقا وغربا ، ودخل أرمينيا في عام 260 هـ ، ثم وصل بعد ذلك إلى الهند ، وعاد إلى مصر وبلاد العرب ، وألف (كتاب البلدان) الذي توجد مخطوطة فريدة منه في ميونيخ ،[184] والذي يقول في مقدمته :

«أني عنيت في عنفوان شبابي ، واحتيال سني ، وحدة ذهني ، بعلم أخبار البلدان ، ومسافة ما بين كل بلد وبلد ، لأني سافرت حديث السن ، واتصلت أسفاري ، ودام تغربي . فكنت متى لقيت رجلا من تلك البلدان سألته عن وطنه ومصره ، فإذا ذكر لي محل داره وموضع قراره سألته عن بلده ذلك في .... لدته ماهي ، **وزرعه ما هو** ، وساكنيه

من هم من عرب أو عجم»[185] . وقد اعترف عدد من الباحثين بأمانة اليعقوبي العلمية ، وتفرده بمعلومات وافية لا توجد في المصادر الأخرى ، يضاف إلى هذا أن أسلوبه علمي بسيط ، وسهل المأخذ ، وأن في الكتاب نزعة المؤلف إلى التحليل العقلي ، ولا عجب فهو يخلو من أي أثر للعجائب التي افتتن بها المؤلفون الآخرون[186] .

وكتب أبو علي بن رُسته (بين سنتي 290 و300 هـ ـ 903 ـ 913 م) موسوعته الضخمة (الأعلاق النفسية) التي لم يتبق منها سوى الجزء السابع في الفلك والجغرافيا . ويلي وصفه لكل مدينة قسم مكرس لجميع صنوف العجائب من العالمين النباتي والحيواني وللمباني الشهيرة ...[187] ، فيذكر مثلاً في كلامه عن مصر النخيل والموز والجمّيز[188] .

وقدم لنا الحسن بن أحمد الهمداني (المتوفّى سنة 334 هـ ـ 945 م) مصنفه الفريد من نوعه وهو (صفة جزيرة العرب) الذي يعتبره (اشبرنجر) ، إلى جانب كتاب المقدسي أقيم ما أنتجه العرب في الجغرافيا . ولم يكن الهمداني جغرافيًا فحسب ، بل وخبيرا بأنساب العرب ، وتاريخ الجزيرة العربية نفسها ، وآثارها القديمة خاصة . ومما يدعو إلى الدهشة أنه استطاع فك رموز الكتابة العربية القديمة في جنوبيّ الجزيرة[189] .

ولقد ذكر في كتابه (صفة جزيرة العرب) أن من نبات جنوب بلاد العرب الأعناب والورس والموز وقصب السكر والأترج والخيار والذُرة والقثّاء والكُزبرة والرُّمان الحلو والحامض والممزوج ، والسفرجل والإجاص والمشمش والتفاح الحلو والحامض والخوخ الحموي والفارسي والهندي ،

والجوز واللّوز والكُمثري ، وذكر أن بها الورد والباقلّا الأخضر ، وجميع أصناف البقول ، وجميع أصناف الحبوب ، وأن عدد نباتات جزيرة العرب أكثر من سبعين وقد سماها[190] .

ويحتل أحمد بن فَضلان العباسي بن راشد بن حماد ، مكانة خاصة بين الرحالة العرب ، فلقد أنفذه المقتدر بالله الخليفة العباسي (في عام 309 هـ ـ 921 م) إلى ملك الصقالبة وبلدهم بُلْغار ، فكتب رسالة ذكر فيها ما شاهده منذ انفصل من بغداد يوم الخميس الحادي عشر من صفر عام 309 هـ ـ 21 حزيران 921 ، حتّى وصل إلى بغيته (يوم الأحد الثاني عشر من شهر محرم من عام 210 هـ)[191] . وتقدم الرسالة صورة حية للظروف السياسية في العالم الإسلامي ، والعلاقات بين بلاد الإسلام ، والبلاد المتاخمة لها في آسيا الوسطَى ، أو الأصقاع النائية التي كانت تمثل أطراف العالم المتمدن آنذاك مثل حوض نهر الفولغا[192] . وقد خص النبات في رسالته بأحاديث مختلفة ، منها قوله : «ورأيت لهم تفاحا أخضر شديد الخضرة ، وأشد حموضة من خل الخمر ، تأكله الجواري فيسمنَّ عليه . ولم أر في بلدهم أكثر من شجر البندق ، لقد رأيت منه غياضا تكون الغَيْضة ، أربعين فرسخا في مثلها . ورأيت لهم شجرًا لا أدري ما هو ، مفرط الطول ، وساقة أجرد من الورق ، ورؤوسه كرؤوس النخل ، له خوصٌ دقاق ، إلا أنه مجتمع ، يجيئون إلى موضع يعرفونه من ساقه فيثقبونه ، ويجعلون تحته إناء ، فيجري إليه من ذلك الثقب ماء أطيب من العسل ، إن أكثر الإنسان منه أسكره كما يُسكر الخمر[193] .»

ويعطينا الجغرافيان عبد الله بن عبد العزيز البكري ، وأبو عبد الله

محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي كتابين خاصين في النبات ، كتاب أولهما (أعيان النبات والشجريات الأندلسية) وكتاب الثاني (الجامع لصفات أشتات النبات)[194] وكنا قد تحدثنا عنهما فيما سبق من هذا الكتاب . ونضيف إلى أن البكري قد خص جزيرة العرب بقسم من كتابه الممالك والمسالك[199] ، وفيه (ذكر ما خصت به جزيرة العرب من نباتات هي : البان ، واللُّك والصَمغ العربي ، والمُقْل والسنان والقاقلتان والقسط الحلو والورس ، والخيار ، وشجر البان) ، وقد وصفها وبين أماكن وجودها وزرعها[200] .

أما علي الهرويّ ، الملقب بالسائح ، لأنه أمضى معظم حياته في التجوال ، (والذي توفي عام 611 هـ-1215 م) ، فكتابه (الإشارات إلى معرفة الزيارات) أشهر مصنفاته ، وهو الكتاب الذي أفاد منه ياقوت في معجمه عن البلدان ، أكثر من ثمانين مرة ، والذي يتحدث فيه في عدة أماكن عن النباتات في رحلته هذه[196] .

ويمثل القزويني زكريا بن محمد بن محمود (600 ـ 682 هـ ـ 1203 ـ 1283 م) المبسط الأكبر للعلوم من أجل الجمهور . ومؤلفاته كثيرة من أشهرها (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) ، الذي قسم فيه المخلوقات إلى قسمين : العلويات ، يعني السماء وما فيها وهو علم الفلك ، والسفليات وهي الأرض وما عليها من حيوان ونبات وجماد .

ورتب النبات فيها إلى قسمين : القسم الأول في الشجر ، وهو كل نبات له ساق ، والقسم الثاني وهو النجوم ، والنجم كل نبات ليس له ساق صلب مرتفع ، ثم شرح الأشجار والنجوم مرتبة على حروف

المعجم[197] . ولقد طبع الكتاب مرات كثيرة في مصر وأوربا ، وبعض طبعاته مزين بالمنمنمات[198] .

كما يخصص محمد بن إبراهيم بن يحيَى بن علي الأنصاري جمال الدين الكُتبي الوراق المعروف بالوَطْواط (المتوفّى عام 718 هـ ـ 1318 م)[201] الجزء الرابع من كتابه «مباهج الفِكر ومناهج العبر» للنبات متحدثا عمّا يوافقه من الأرضين ، وسائر أنواع النبات ، وعن فلاحة الحبوب ، والقطاني وأصناف البقول ، وعن طرف من تجارب الفلّاحين والطرق التي مارسوها في علاجه والعناية به . والجدير بالذكر أن النسخة الوحيدة منه المعروفة حتّى الآن هي تلك الموجودة بالمكتبة المارونية بحلب ، والتي لفتت إليها الأنظار منذ القرن السابع عشر المطران جرمانوس فرحات (1670 ـ 1732) ووضع لها عناوين شاملة[202] ، ثم قام بوصف هذه النسخة في كثير من الدقة والتفصيل عالمان من حلب أحدهما هو الشيخ كامل الغزي[203] .

ويعتبر شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (677 ـ 732 هـ ـ 1279 ـ 1332) خير ممثل لأصحاب الموسوعات الذين تطرقوا إلى علم النبات ، وسنخصه ومؤلفه العظيم (نهاية الأرب في فنون الأدب)[204] بحديث خاص فيما يلي من هذا الفصل .

أما موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد علي بن أبي سعد البغدادي (557 ـ 629 هـ ـ 1189 ـ 1231 م) ، صاحب المؤلفات العديدة ، والمتميز بالنحو واللغة العربية ، والعارف بعلم الكلام والطب[205] ، فقد خصّ ، على الرغم من كتبه النباتية العديدة ، نباتات

مصر بقسم من كتابه المشهور (الإفادة والإعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر)[206] وهو القسم الثاني من المقالة الأولى . والذي تحدث فيه عما تختص به مصر من النبات[207] ، وشرح بعضه ، وعلق عليه . فقد ذكر مما رآه بمصر المُلُوخية ، والخِطْمَى ، والبامية ، واللَّبخ ، والجُمَّيز ، والبِلسان ، والقُلْقَاس ، والموز ، والمحمضات ، والتفاح ، والنخل ، والقرط ، والماش ، والذرة ، والدخن ، والأفيون ، والأقاقيا ، والفقوص ، والبطيخ ، والقراسيا ، والأجاص . وشجر خيار شنبر ، واللوز ، والسدر .

ويخص الموسوعي شهاب الدين أحمد بن يحيَى بن فضل الله العمري الدمشقي (700 ـ 749 هـ) (1301ـ1349 م) النبات بقسم هام من موسوعته «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» التي تقع في اثنتين وثلاثين مجلدة ، وقسمين الأول في الأرض أي في الجغرافيا وما يلحقها والثاني في سكان الأرض من حيوان وجماد ، وفي القسم الثاني هذا بحث مطول في العلوم الطبيعية كالمعادن ، والحيوان ، والنبات[208] .

ويذكر أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله اللواتي الطبخي المعروف بابن بطوطة (703 ـ 799 هـ ـ 1304 ـ 1377 م) في رحلته المشهورة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأقدار)[209] كثيرا من النباتات في كل بلد مرّ به في رحلته . وسنخص ابن بطوطة ورحلته بحديث خاص أيضا فيما يلي من هذا الفصل .

ويخص سراج الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن محمد بن أبي الفوارس القرشي البكري المشهور بابن الوردي (749 ـ 861 هـ ـ

1348 ـ 1457 م) ، النبات بفصول أربعة من كتابه الجغرافي (فريدة العجائب وفريدة الغرائب) هي (العاشر : عن النبات والفواكه مع ذكر خواصها ، والحادي عشر : عن البقول ، والثاني عشر عن الحشائش المختلفة ، والثالث عشر عن البذور)[210] ، التي ذكر فيها النباتات والفواكه والحشائش والبقول في المغرب الأقصى ، والإسكندرية ، والفيوم ، والصين ، وبرقة ، مثل : قصب السكر ، والتين ، والزيتون ، والزعفران ، والرمان ، والرُطَب ، والعِنَب ، والراوند ، والأرز ، والموز ، والنارجيل ، والشكي ، والبركي ...[211] .

وهكذا بينت لنا الدراسة السابقة عناية بعض الجغرافيين والرحالة والموسعيين العرب ، بالنبات أدخله من يهتم بالجغرافيا في كتابه على أنه جزء مما يعيش فوق الأرض ، وذكره الرحالة حين كانوا يشاهدونه في الأقطار التي زاروها ، أما الموسوعيون ، فكان للنبات نصيب جيد ، من حيث الكمية ، في موسوعاتهم ... إن هذا كله إن دل على شيء فعلى عناية كتب التراث العربي جميعها بهذا النوع من أنواع العلوم الطبيعية ، وها نحن أولا نبرز فيما يلي ما أسهم به إثنان (رحالة ، وموسوعي) في مجال علم النبات ، لنقدم الدليل المفصل على ما أوجزناه فيما تقدم عن هذا الفصل .

النويـري وقـسم النبـات من موسوعتـه :
نهـاية الأرب في فنـون الأدب

ولد شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البكري النويري في عام

677 هـ ، في (نويرة) وهي محلة غير كبيرة في مصر العليا ، وقد كان والده كاتبا في مختلف دواوين الحكومة ، وكان الابن من المقربين إلى السلطان الناصر. ولقد شغل النويري بعضا من الوقت منصب رئيس كتبة إدارة الجيش بطرابلس الشام ، ثم منصب رئيس الكتبة في عدد من المقاطعات المصرية فيما بعد. لذلك ارتبط مصنفه الأساسي الكبير (نهاية الأرب في فنون الأدب) بالأعمال الإدارية ، وبالإنشاء الأدبي. ويبين لنا المؤلف أنه أولى كل جهده إلى الكتابة في مفتتح حياته ، ثم تحول إلى (الأدب) بمعناه العام عقب ذلك. ولقد جعل الهدف من موسوعته تلخيص جميع العلوم الاجتماعية التي يحتاج إليها كبار الكتاب[212].

ويقسم النويري موسوعته إلى خمسة فنون :

الفن الأول : في السماء والآثار العلوية ، والأرض والمعالم السفلية.

الفن الثاني : في الإنسان وما يتعلق به.

الفن الثالث : في الحيوان الصامت.

الفن الرابع : في النبات.

الفن الخامس : في التاريخ.

ولم يتسطع العلماء إجراء تقويم دقيق للكتاب إلا عندما استطاع العلامة أحمد زكي باشا (المتوفى في عام 1934) أن يجمع نسخة كاملة من الكتاب في واحد وثلاثين جزءا ، كان بعضها نسخا مخطوطة ، وبعضها الآخر مصورا من مخطوطات اسطنبول وبعض المكتبات الأوروبية[213]. وقد وصلت الطبعة التي بدأتها دار الكتب المصرية في

عام 1923 إلى الجزء الحادي والعشرين حتّى الآن . هذا ويشغل الفن الخامس الذي يمثل القسم التاريخي من الكتاب ، والذي يصل به المؤلف إلى العام السابق لوفاته (731هـ ـ 1331م) ، بالتقريب نصف الكتاب ، أي أنه يمثل ما يقرب من تسعة آلاف صفحة من القطع الكبير . أنفق المؤلف فيها ، وفي النصف الأول من الكتاب حوالي عشرين عاما .

أما القسم الجغرافي في الموسوعة فيشغل القسمين الرابع والخامس من الفن الأول ، وفيه نجد كل المعلومات المعروفة لنا عن خلق العالم ، والظواهر الجوية ، والعناصر ، وقياس الوقت ، والفصول ، وكذلك عن الأرض ، وأبعادها ، والأقاليم السبعة ، والجبال والبحار ، والجزر ، والأنهار ،والبحيرات والبلدان المختلفة ، والمدن ، وسكانها ، وآثار المنازل ، والمحال . وتبدو أصالة النويري الأساسية في معالجته الأدبية لمادته ، وينعكس هذا بوضوح تام في القسم الذي يفرده للنبات مثلا ، فهو «يعالج هذا الموضوع من وجهة نظر الأدب ، ويورد عنه ما هو ضروري فقط للتثقيف عن طريق إيراد الأشعار»[214] .

هذا ويشغل النبات (الفن الرابع) من الكتاب الذي خصص له المؤلف الجزء الحادي عشر ويقع في نيف وثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط . وقد قسمه النويري إلى أربعة أقسام وزعها إلى أبواب كما يلي :

ـ القسم الأوّل[215] في أصل النبات وما يختص به من أرض دون أرض ، وتتصل به الأقوات والخضروات والبقولات وهو في ثلاثة أبواب :

الباب الأول : في أصل النبات وترتيبه .

الباب الثاني : فيما تختص به أرض دون أرض ، وما يستأصل شأفة النبات الشاغل للأرض عن الغراسة والزراعة .

الباب الثالث : في الأقوات والخضروات .

ـ القسم الثاني :[216] في الأشجار ، وهو في ثلاثة أبواب :

الباب الأول : فيما لثمره قشر لا يؤكل .

الباب الثاني : فيما لثمره نوى لا يؤكل .

الباب الثالث : فيما ليس لثمره قشر ولا نوى .

ـ القسم الثالث :[217] في الفواكه المشمومة وهو في بابين :

الباب الأول : فيما يشم رطبًا ويستقطر .

الباب الثاني : فيما يشم رطبًا ولا يستقطر .

ـ القسم الرابع :[218] في الرياض والأزهار ، ويتصل به الصموغ والأمنان والعصائر ، وهو أربعة أبواب :

الباب الأول : في الرياض ، وما وصفت به نظما ونثرا .

الباب الثاني : في الأزهار .

الباب الثالث : في الصموغ .

الباب الرابع : في الأمنان .

وننقل هنا صفحة من كتاب النويري لنأخذ فكرة عن طريقته ومنهجه وأسلوبه[219] :

«قال المسعودي في كتابه المترجم (بمروج الذهب ومعادن الجوهر) :
إن آدم عليه السلام لما أهبطه الله تعالى إلى الأرض ، خرج من الجنة . ومعه ثلاثون قضيبا موعدة أصناف الثمر ، منها عشرة لها قشر . وهي الجوز واللوز والجلوز والفستق والبلوط والشاهلبوط والصنوبر . والنارنج والرمان ، والخشخاش . ومنها عشرة لثمرها نوى . وهي :

الزيتون والرطب والمشمش والخوخ والإجاص والغبيراء والنبق والعناب والمخيط والزعرور ، ومنها عشرة ليس لها قشر ولا نوى وهي التفاح والسفرجل والكمثري والعنب والتين . والاترج . والخرنوب والتوت والقثاء والبطيخ . »

«وقال أبو عبيد البكري في كتابه المترجم (بالمسالك والممالك) :

إن اسحاق بن العباس بن محمد الهاشمي حكَى عن أبيه أنه تصيد يوما بناحية (صنعاء) ، فأصابته السماء . فمال إلى أحوية أعراب فمكث عندهم يوما وليلة ، والغيث منسجم لا ينحسم ، فلما أصبح قال : لقد أنزل الله الليلة خيرا كثيرا ، فقام رب البيت إلى كساء كان قد نصبه بين أربع أخشاب يصيبه المطر ، فلمسه بيده ، فقال : ما أنزل الله الليلة خيرا ، ثم ليلة أخرى كذلك ، وليلة أخرى ، فلما كان اليوم الثالث قال : نعم قد أنزل الله خيرا في هذه الليلة : فسأل العباس محمداً عن ذلك . فأتاه بكف من البزور تناولها من جوف ذلك الكساء وقال : إن حب البقل والعشب والكلأ إنما ينزل من السماء .

هذا ما ورد في أصل النبات ، وأما ترتيبه من ابتدائه إلى انتهائه . فقد حكَى الثعالبي في (فقه اللغة) قال : أول ما يبدأ النبت فهو بارض . فإذا

تحرك قليلا فهو جميم ، فإذا عم الأرض فهو عميم ، فإذا اهتز وأمكن أن يقبض عليه قيل (اجثأل) فإذا اصفر ويبس فهو هائج ، فإذا كان الرطب تحت اليابس فهو غَميم ، فإذا كان بعضه هائجا وبعضه أخضر فهو شَحيط ، فإذا تهشَّم وتحطَّم فهو هَشَيم وحَطيم ، فإذا اسودَّ من القدم فهو الدَنْدَن ، فإذا يَبِس ثم أصابه المطر فاخضر فذاك النَشْر . »

ابن بطوطـــة

وما يتعلّـق بالنبات من رحلتـه

ولد أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي يوم 24 من شباط عام 703 هـ ـ 1304 م ويبدو أنه قد حصل على ما تيسر من العلم بمسقط رأسه ، مع ميل واضح إلى الفقه ، جعله يتمتع ببعض المعرفة فيه ، مما سيسمح له ان يشغل ، خلال رحلته ، منصب القضاء ، على المذهب المالكي ، وهو في ريعان شبابه . وعلى الرغم من أننا لا نعرف له اسم أي مؤلف أدبي ، فإنه ، كان له ، كغيره من المثقفين ، شعر جيد ، كان يمدح به من يشملونه برعايتهم .

كانت الرغبة في أداء فريضة الحج الحافز الذي دفعه إلى القيام برحلته : «كان خروجي من طنجة مسقط رأسي يوم الخميس الثاني من شهر رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمداً حج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر الرسول ، عليه أفضل السلام ، لباعث من النفس شديد العزايم ، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة ، فحزمت أمري على هجر

الإناث من الأحباب والذكور . وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور .
وكان والداي بقيد الحياة . فتحملت لبعدهما وصبا . ولقيت كما لقيا
نصبا ، وسني يومئذ اثنتان وعشرون سنة[220] » .

إلّا أنه لم يدر بخلده أن عصا الترحال ستلقّي به في مختلف البلاد . إذ
لم يكتب له العودة إلى وطنه إلّا بعد أكثر من ربع قرن. ولقد كان خط سير
رحلته معروفًا منذ اللحظة الأولى لتحركه ، فقد كان خيط الرواية متتاليا .
يســير بنــا معه منذ ترك مدينته حتّى عاد إلى أرض الوطن . فقد بدأ تحركه
من طنجة إلى الإسكندرية مارًّا في طريقه بجميع المدن الكبرى بشمال
أفريقيا ، ثم اتجه إلى دمياط ومنها إلى القاهرة . ومنها إلى أسوان في النيل .
ومن أسوان اتجه شرقا مخترقًا الصحراء حتّى بلغ مرفأ عيذاب على البحر
الأحمر ، وبدلا من أن يتجه إلى جدة عاد إلى القاهرة بسبب اضطراب
حبل الأمن في البحر الأحمر . وهناك واتته فكرة زيارة الشام لينضم إلى
قافلة الحجيج الشامي ، فاغتنم هذه الفرصة ليزور فلسطين مارًا ببيت
المقدس ، كما زار دمشق وأنطاكية واللاذقية وحلب ثم عاد إلى دمشق .
ومنها اتجه إلى مكة والمدينة فزارهما ، ثم زار مشاهد الشيعة في العراق . ثم
زار البصرة في طريقه إلى فارس حيث زار شيراز . وأعقبها بزيارة الموصل
وديار بكر ، ثم عاد إلى الكوفة وغادرها إلى بغداد . ليقوم هناك بالحج مرة
ثانية ، حيث أقام في مكة مدة بسبب مرض ألم به . ثم غادر مكة إلى جدة
وعبر منها البحر الأحمر إلى الساحل الشرقي لإفريقيا . ثم رجع منه إلى اليمن
ثم عاد إلى افريقيا مرة ثانية . ليغادرها إلى الساحل الشرقي لبلاد الغرب
على الخليج العربي ، مارا في طريقه بعمان وهرمز والبحرين . وزار مكة

للمرة الثالثة ، فمر في طريقه إليها باليمامة ، ثم اجتاز البحر الأحمر إلى عيذاب ومنها إلى القاهرة .

أما الدورة الثانية من أسفاره فقد كانت وجهتها الأقطار الشمالية . فقد اجتاز الشام حتّى دخل آسيا الصغرى ، ثم وصل إلى (سينوب) على البحر الأسود ، الذي عبره لينزل في شبه جزيرة القرم وروسيا الجنوبية حتّى يبلغ أرض بلغار الفولغا . ثم خرج من استرخان إلى القسطنطينية ، ومن هناك رجع مرة ثانية إلى مملكة الأوردو ، ثم عبر نهر الفولغا فوصل إلى خيوه ، وغادرها إلى بخارى فأفغانستان ودخل الهند في غرة المحرم من عام 734 هـ ـ 12 أيلول من عام 1333 م .

ومنذ هذه اللحظة يبدأ الجزء الثاني من وصف الرحلة . لقد حظي ابن بطوطة بدرجة عالية من النفوذ لدى سلطان دلهي ، الذي عينه في منصب القضاء لمدة خمس سنوات . وتيسر له من هناك السفر إلى الصين . فزار جزر الملديف ، وأمضى عامين شغل خلالها منصب القضاء ، وزار سيلان وبنجالة (البنغال) ، والهند الشمالية ، واندونيزيا ، ومن هناك اتجه إلى كانتون بالصين . وأخذ في طريق العودة ، السفينة من سومطرة إلى ظفار في جنوبي الجزيرة فبلغها في عام 748 هـ ـ 1347 م . وضرب مرة أخرى في فيافي إيران والعراق والشام ومصر ، ثم أدى فريضة الحج للمرة الرابعة وذهب بعد ذلك إلى فلسطين فشهد الوباء المخيف الذي اجتاحها عام 749 هـ ـ 1347 م .وألحّت عليه ، عقب ذلك ، رغبة عارمة في العودة إلى وطنه ، ولا سيما بعد تواتر الأخبار بازدهار مراكش في عهد السلطان أبي عنان بن مرين عام 750 هـ ـ 1349 م ، فمر بمصر وتونس . وزار جزيرة سردينيا ، ثم وصل بعد محن إلى فاس مارًّا بتونس وتلمسان وتازا .

التي علم فيها بوفاة أمه ... وبلغ بلاط السلطان أبي عنان في تشرين الثاني من عام 750 هـ ـ 1349 م حيث انتهى به المطاف ، وقوبل بما هو أهل له من التقدير والإجلال . ثم زار غرناطة ومالقة ورندة ، ثم رجع إلى المغرب عابرًا مضيق جبل طارق للمرة الثانية . غير أنه لم يلبث أن خرج في غرة المحرم من عام 753 هـ ـ 18 شباط 1352 م في رحلة طويلة إلى جوف إفريقيا ، فمر بسلجماسة في طريقه إلى تمبكتو ، وزار في طريق العودة معادن النحاس بتكدا ، ثم عبر جبال الأطلس شتاء في ظروف قاسية ، إلى أن بلغ فاس ، في نهاية عام 754 هـ ـ 1353 م . وفي هذه المدينة أمضى البقية الباقية من حياته ، فلم يقم بأي تجول حتى وافته منيته في عام 770 هـ ـ 1368 ـ 1369 م[221] .

ويبدو أنه كان للسلطان أبي عنان الفضل في ظهور وصف رحلة ابن بطوطة ، فهو الذي عثر له على (محرر أدبي) ، إن صح التعبير ، (محرر) كتب ما أملاه عليه ، لأن ابن بطوطة ، على الرغم من ولعه بالقصص ، لم يكن ليحس انجذابا شديدا نحو الكتابة .

وهكذا خرجت فكرة الكتاب كما يلي ، فالمحرر في كلامه ، عن ازدهار فـاس في عهد السلطان أبي عنان ، يقول :[223] .

«وكان ممن وفد على بابها السامي ، الشيخ الفقيه السائح الثقة الصدوق ، جوّاب الأرض ، ومخترق الأقاليم بالطول والعرض ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بان بطوطة ، وهو الذي طاف الأرض معتبرا وطوى الأمصار مختبرا ، وباحث فرق الأمم ، وسبر سير العرب والعجم ، ثم ألقى عصا التسيار بهذه الحضرة العليا ... ونفذت الإشارة الكريمة بأن يملي ما شهده في رحلته من

الأمصار ، وما علق بحفظه من نوادر الأخبار ، ويذكر من لقيه من ملوك الأقطار ، وعلمائها الأخيار ، وأوليائها الأبرار ، فأملى من ذلك ، ما فيه نزهة الخواطر ، وبهجة المسمع والنواظر ، من كل غريبة أفاد باجتلائها ، وعجيبة أطرف بانتمائها .... وصدر الأمر العالي لعبد مقامهم الكريم ، المنقطع إلى بابهم ، المتشرف بخدمة جنابهم ، محمد بن محمد بن جزى الكلبي بأن يضم أطراف ما أملاه الشيخ أبو عبد الله من ذلك في تصنيف يكون على فوائده مشتملا ، ولنيل مقاصده مكملا ، متوخيا تنقيح الكلام وتهذيبه ، معتمدا إيضاحه وتقريبه ، ليقع الإستمتاع بتلك الطرف ، ويعظم الإنتفاع بدرها عن تجريده من الصدف . فامتثل ما أمر به مبادرا ، وشرع في منهله ليكون بمعونة الله عن توفية الغرض منه صادرا ... ونقلت معاني كلام الشيخ أبي عبد الله ، بألفاظ موفية للمقاصد التي قصدها ، موضحة للمناحي التي اعتمدها ، وربما أوردت لفظه على وضعه ، فلم أخل بأصله ولا فرعه ، وأوردت جميع ما أورده من الحكايات والأخبار ، ولم أتعرض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار . على أنه سلك في إسناد صحاحها أقوم المسالك ، وخرج عن عهدة سائرها بما يشعر من الألفاظ بذلك ، وقيدت المشكل من أسماء المواضع والرجال بالشكل والنقط ، ليكون أنفع في التصحيح والضبط ، وشرحت ما أمكنني شرحه من الألفاظ الأعجمية لأنها تلتبس بعجمتها على الناس ، ويخطئ في فك معماها معهود القياس » .

ويتضح ، من هذا النص الطويل ، أن وصف رحلة ابن بطوطة المعروف باسم (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ليس من تصنيف ابن بطوطة نفسه ، بل هو صياغة أدبية لروايته صنعها الكاتب

ابن جزّي الذي لا يزال موجودا في المكتبة الوطنية بباريس قسم من الكتاب بخط يد الكاتب نفسه[223] . والذي أنجز عمله في ثلاثة أشهر ، إذ انتهى من «تقييد» ألفاظ ابن بطوطة في كانون الأول من عام 756 هـ - 1355 م ، وفي شباط من العام التالي 1356 م صفر من عام 757 هـ ، كان قد أكمل صياغتها[224] .

روى ابن جزّي أخبار الرحلة بأسلوب متكلف يميل إلى السجع والأطناب ، إلّا أن السرد لا يسير في جميع صفحات الكتاب على وتيرة واحدة ، إذ كثيرا ما تتخلل العرض ، لغة ابن بطوطة القصصية البسيطة ، التي تميل أحيانا نحو لغة المحادثة محتفظة ، في الوقت ذاته ، برزانتها وغناها بالتفاصيل ، فوق ما تتميز به من الحيوية الدفاقة والعاطفة الجياشة ، اللتين يبدو أسلوب ابن جزي إلى جـانبهما ثقيلا يغلب عليه الحشو والتكلف .

ولقد قيل الكثير في رحلة ابن بطوطة ، واختلف العلماء في تقويمها ، ومعرفة مدى الدقة والصدق فيها ، إلّا أنه «من المستحيل إنكار أنه كان آخر جغرافي عالمي من الناحية العملية ، أي أنه لم يكن نقالة يعتمد على كتب أخرى ، بل كان رحالة انتظم محيط أسفاره عددًا كبيرًا من الأقطار ، وتجاوز تجواله مقدار مائة وخمسة وسبعين ألف ميل[225] . »

ولقد ذكر ابن بطوطة كثيرًا من النبات في كل بلد رحل إليه ، يقول مثلا :[226]

«وكان أول بلد دخلناه بالهند مدينة أبوهر ، وهي أول تلك البلاد الهندية ، صغيرة حسنة ، كثيرة العمارة ، ذات أنهار وأشجار ، وليس هناك من أشجار بلادنا شيء ، ما عدا النبق ، لكنه عندهم عظيم الجرم ، تكون

الحبة منه بمقدار حبة العَفْص ، شديد الحلاوة ، ولهم أشجار ، ليس يوجد منها شيء ببلادنا ولا بسواها » . ثم يمضي فيذكر أشجار بلاد الهند وفواكهها[227] ثم الحبوب التي يزرعها أهل الهند ويقتاتون بها[228] ، فمن نبات الهند القمحُ الذي لا مثيل له ، والكَذُرّ ، والقالُ ، والشاماخ والماش ، والمنغ ، واللوبيا ... وهو يذكر أنهم في الهند « يزرعون مرتين في السنة فإذا نزل المطر عندهم في أوان القيظ زرعوا الزرع الخريفي وحصدوه بعد ستين يوما من زراعته[228] » وأن من نباتات الهند كذلك السمسم وقصب السكر ، والعنب ، والشكى والتركي ، وغيرها ....

وهو يذكر كذلك من نبات جاوة ما لا يخرج عن نبات الهند ، ومن نبات الصين :

السكر والقطن والخِرْوع ، والسدر والأعناب والأجاص والبطيخ العجيب والقمح والعدس والحمص ، ومن نبات جنوب بلاد العرب وثمارها الموز ، « الذي تزن الحبة من 12 أوقية ، وهو طيب الطعم شديد الحلاوة[229] » ويذكر كذلك بطيخ خوارزم الذي لا نظير له[230] » وفواكه الشام مثل التين والزيتون والمشمش اللوزي والبطيخ والخروب[229] .

هوامش وتعليقات

(173) الموسوعة العربية الميسرة . الطبعة الأولى 1965 . دار القلم ، القاهرة ص634 . مادة جغرافية .

(174) الدكتور محمد محمود الصياد . الفصل الخاص الذي كتبه عن الجغرافيا . في كتاب (أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية) ص312 و313

(175) تفصيل ذلك في الفصل الخاص الذي كتبه الدكتور الصياد والمنوه عنه في الحاشية السابقة . وهو في حوالي خمسين صفحة من 305 إلى ص 353

(176) صلاح الدين عثمان هاشم . في مقدمته لترجمة الكتاب ص 6 . والدكتور عبد المنعم خفاجي . في مقالته عن كراتشكوفسكي بمجلة الهلال عدد يناير 1976 ص 56 و 57 .

(177) صدر الكتاب بالروسية في مدينة لينينغراد عام 1957 بعنوان :

Ignac Ilianovich Krachkocski

Istoria Arabskoi geograficheskoi Literetury Leningrad - 1957

وترجم إلى اللغة العربية في مجلدين ضخمين يقعان في أكثر من ألف صفحة . نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1963 ـ 1965

(178) ملخص من الصفحة 18 . من ترجمة صلاح الدين هاشم لكتاب كراتشكوفسكي الأدب الجغرافي العربي .

(179) د. شوقي ضيف . الرحلات . دار المعارف بالقاهرة 1956 ص 7 و 8 ـ وأحمد أبو سعد . أدب الرحلات . منشورات دار الشرق الجديد . بيروت 1962 ص 7 و 8 و 9 ـ وجورج غريب . أدب الرحلة . دار الثقافة . بيروت 1966 ص 26 .

(180) أحمد أبو سعد . المصدر السابق ص 17 و 18 و 19 . وشوقي ضيف . الرحلات ص 8 و 9

(181) شوقي ضيف . المصدر السابق ص 6

(182) كراتشكوفسكي ، المصدر السابق . ج 1 ص 125 . وبروكلمان 1 . GAL ص 102 ـ ونالينو الفلك عند العرب ص 28 ، وابن خلكان وفيات الأعيان ج 3 ص 549 . والفهرست ج 1 من طبعة أوربا ص 52 .

(183) كراتشكوفسكي ، المصدر السابق . ج 1 ص 126

(184) أحمد عيسى بك ، المصدر السابق ص 113 ، وكراتشكوفسكي ، المصدر السابق ص 158 ـ 159 ـ 160

(185) كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ص 159 نقلا عن المخطوطة

(186) كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ص 160 ، 161

(187) كراتشكوفسكي ، المصدر ص 164

(188) أحمد عيسى بك ، المصدر السابق ، ص 113

(189) كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ، ص 170

(190) أحمد عيسى بك ، المصدر السابق ، ص 114

(191) أحمد عيسى بك ، المصدر السابق ، ص 114 ، وكراتشكوفسكي المصدر السابق ص 186 و 187 وقد حقق الرسالة وطبعها أستاذنا المرحوم الدكتور سامي الدهان ، وقد نشرها بمجمع اللغة العربية بدمشق عام 1379 هـ ــ 1959 م ثم أعادت نشرها وزارة الثقافة بدمشق في عام 1977 ينظر ص 35 من الطبعة الثانية ، وهي مقدمة المحقق .

(192) كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ، ص 186

(193) رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة ، الطبعة الثانية من تحقيق الدكتور الدهان ص 157

(194) أحمد عيسى بك ، المصدر السابق ، ص 114 ، وكراتشكوفسكي ، المصدر السابق ص 674 وما بعدها من أجل البكري ، وص (281 ــ 295) من أجل الإدريسي

(195) نشره المعهد الفرنسي بدمشق بتحقيق جانين سورديل تونين ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1953

(196) كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ، المصدر السابق ، ص 320 و 321

(197) كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ،36 وما بعد ، وأحمد عيسى بك المصدر السابق ص 115

(198) كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ص 362

(199) استخرجه ودققه يوسف الغنيم ، دار السلاسل ، الكويت ، 1392 هـ ، 1977 م بعنوان جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك .

(200) جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك ص 26

(201) أحمد عيسى بك ، المصدر السابق ص 115 ــ 116 وكراتشكوفسكي ، المصدر السابق 406 ــ 407 وبروكلمان ج 2 ص 54 ــ 55 ، وسارتون ، Introduction ص 870

(202) مجلة المشرق، المجلد العاشر 774 ، 776

(203) في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق . المجلد التاسع ص 681 ـ 687 . والمجلد العاشر ص 250 ـ 251

(204) طبع من الكتاب بين عامي 1923 ـ 1973 واحد وعشرون مجلدا ضخما . ولا تزال مجلدات عشرة تنتظر التحقيق والطباعة . ينظر من أجل مصادر دراسته معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ودائرة معارف الإسلام . الطبعة الجديدة من النسخة الفرنسية . الجزء الأول . وكراتشكوفسكي . المصدر السابق . 408 وما بعد . وأحمد عيسى بك . المصدر السابق . ص 116 .

(205) أحمد عيسَى بك . المصدر السابق ص 58 وما بعد . وكراتشكوفسكي . المصدر السابق . ص 344 وما بعد . وابن أبي أصيبعة . طبقات الأطباء الذي روى فيه شيئا من شذرات حياته . وبروكلمان الملحق ص 859 ـ 860 . وسارتون مقدمة تاريخ العلم ج 2 ص 599

(206) طبعة بإشراف سلامة موسي . مطبعة المجلة الجديدة . ومجلة المصري . القاهرة 1934 . وقد نقلت نسخة من مخطوطة الكتاب منذ مستهل القرن السابع عشر . وطبعت مرة أولى عام 1800 . وعنها ترجم الكتاب مرتين إلى الألمانية ومرة إلى اللاتينية . كما ترجمها سيلفستر دوساي عام (1810) إلى الفرنسية في ترجمة علمية مصحوبة بالشروح والتعليقات بعنوان Relation d'Egypte وكتب محمد عبد الله عنـــان فصلا عنها في كتابه القيم (مصر الإسلامية) عام 1931 ـ 96 ـ 106

(207) ص 20 من طبعة سلامة حتّى ص 30

(208) أحمد عيسَى بك . المصدر السابق . ص 116 ـ 117 . ويذكر كراتشكوفسكي (المصدر السابق ص 411 ـ 412) أن أحمد زكي باشا قد جمع نسخة كاملة من الكتاب بالتصوير الشمسي . كما يذكر الزركلي (الأعلام ج 1 ص 254 . من الطبعة الثالثة (1959) . أنه قد طبع منه جزء واحد .

(209) طبعة مرات متعددة في مصر . وفي أوربا . كما ترجمت إلى الإنكليزية . والبرتغالية والتشيكية والتركية . والفرنسية بين عامي 1853 ـ 1858 في أربعة أجزاء . التي ضمت كذلك النص العربي بعناية المستشرقين دوفريري . Defrénery وسانغينيتّي SANGUINETTY والنسخة العربية التي بين أيدينا طبعت عام 1346 ـ هـ ـ 1928 م . بالمطبعة الأزهرية بالقاهرة في جزئين يضمها مجلد واحد . وهما في حوالي 450 ص . والطبعة غير علمية ولا محققة ولا مضبوطة . وفي معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة .

والطبعة الجديدة من دائرة معارف الإسلام الجزء الثالث من النسخة الفرنسية (مقالة ابن بطوطة) ثبتان كاملان بمصادر كثيرة عنه .

(210) أحمد عيسى بك ، المصدر السابق ص 119 ، وكراتشكوفسكي . المصدر السابق ص 500 وما بعد وبروكلمان ج 2 ، ص 131 ـ 132 . وآلدو ميييلي . العلم العربي ص 278 ـ 279 ، وقد طبع الكتاب ثماني مرات بين سنتي (1276 ـ 1309 هـ) .

(211) فصل النبات والفواكه وخواصها من الكتاب ص 124 وما بعد طبعة القاهرة عام 1889

(212) ملخص كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ص 408

(213) كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ص 410

(214) كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ص 409

(215) من ص 4 إلى ص 85

(216) من ص 86 إلى ص 183 .

(217) من ص 184 إلى ص 255

(218) من ص 256 إلى ص 330

(219) ص 4 و 5 و 6 .

(220) رحلة ابن بطوطة ، طبعة الأزهرية بمصر ، لسنة 1346 هـ ـ 1928 م ص 4 و 5

(221) اعتمدنا في تلخيص الرحلة على كرانسكوفسكي . المصدر السابق ص 422 وما بعد

(222) رحلة ابن بطوطة ص 3 و 4

(223) كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ص 425

(224) رحلة ابن بطوطة ، الجزء الثاني ص 2017

(225) كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ص 421 ؛ نقلا عن جب . في مقدمة ترجمته لرحلة ابن بطوطة ص 9 ، وعن أرنولد . الرحالة العرب ص 101 .

(226) الرحلة ، ص 10

(227) الرحلة ج 2 ص 11

(228) الرحلة ج 2 ص 12

(229) أحمد عيسى بك ، المصدر السابق ص 118 نقلا عن رحلة ابن بطوطة .

(230) الرحلة ج 1 ص 235 .

الفصـــل الخامـــس

مكـانة التـراث النبـــاتي العـربي
في تاريـخ الحضـــارة

لا بد ، لنا ، حتّى نتمكن من تحديد مكانة التراث النباتي العربي في تاريخ الحضارة ، من التمهيد بعدة مقدمات نتحدث فيها عن العلم ، وتأريخه ، وأهمية هذا التأريخ ، ثم نبين مكانة العلم العربي عامة في تطور العلم الإنساني ، لنصل بعد هذا إلى تحديد دقيق لما نريده في هذا الفصل . إذ أنَّ العلم العربي ، حلقة في تطور العلم الإنساني ، ومن الضرورة بمكان السير في ذلك من العام إلى الخاص ، تمشيا مع منهج علمي يدعو إلى العناية بالكليات ، التي توصلنا بعد هذا إلى الخصوصيات .

العـلم : أحد الإنجازات الكبرى التي قدمتها الإنسانية خلال مسيرتها الطويلة ، منذ كانت تعيش في العصر الحجري ، حتّى وصلت إلى هذا العصر الذي يظلنا ، والذي يلقب بعصر العلم ، أو عصر الذرة ، أو عصر الفضاء ، وذلك بعد أن مرت البشرية بعصر البرونز ، فعصر الحديد ، فعصر البخار ، فعصر الكهرباء .

ثم إن القيام بتأريخ العلم ضروريّ ، على الرغم من التطور الهائل الذي يسير فيه ، وخاصة في السنوات الخمسين الأخيرة ... فالتاريخ وحده هو الذي يساعدنا على فهم العلم حق الفهم ، وفي معرفة كونه وحدة متماسكة في ماضيه وحاضره ومستقبله ، ثم في إدراك قيمه السامية ، واجتلاء نواته الأساسية الخالدة التي هي العقل الإنساني ... فالعلم ، الذي هو في المرتبة الأولى من صنع العقل الإنساني ، لا يجد سببه العميق ، ولا يبدو جليا إلا بتلك الطرق التي سلكها فعلًا ... والماضي وحده ، هو الذي يشرح الصورة التي يأخذها العلم الآن ، والتي سيأخذها غدًا[231] .

وإذا كان الرأي القائل بوجود قسمين فقط للعلم في تاريخ الإنسانية هما اليوناني ، والأوروبي بعد عصر النهضة ، قد أصبح رأيا باطلا بشهادة الكثيرين من مؤرخي العلم ، وعلى رأسهم جورج سارتون ، سيد من كتب تاريخ العلم ، فإن الذي غدا صحيحا ، وملائما لطبيعة الأشياء ، ولتطور الإنسانية ، أن العلم إنما عرف أربعة عصور ذهبية : أولها ذلك الذي شهد مولده في مهد الحضارات حول الأنهار الكبرى ، وفي شرقنا العربي في مصر وبلاد الشام والعراقين ، وثانيها العلم اليوناني الذي أخذ عن العلم الشرقي الكثير وأعطَى الحضارة الكثير ، وثالثها العلم العربي الذي أخذ عما سبقه من العلوم اليونانية والهندية والفارسية ، ثم زاد زيادات واضحة ، وأعطَى ذلك كله أوربا عصر النهضة التي نشأ فيها وترعرع العلم الأوروبي الحديث الذي يشكل الحلقة الرابعة في سلسلة تاريخ العلم الإنساني .

والعلم العربي : حلقة في تطور العلم الإنساني ، أسهم بها العرب من خلال الحضارة التي قدموها بعد خورجهم من جزيرتهم ، بعد الإسلام ، وإقامتهم الدولة العربية التي امتدت على مساحة واسعة تصل من حدود

الصين شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا . ومن جبال طوروس شمالا . إلى بحر العرب وأواسط إفريقيا جنوبا . وذلك خلال المدة التي شملت القرون (الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع) الهجرية . التي توافق القرون (التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر . والثالث عشر) الميلادية .

نسميه العلم العربي : لأنه أحسن الأسماء التي يمكن إطلاقها على العلم الذي ازدهر من القرن الثامن ، إلى القرن الثالث عشر . في البلاد التي سادها الإسلام ، والذي ظهر في الآثار العلمية . وأنواع الإنتاج العلمي والأدبي ، وتسمية ذلك بالعلم الإسلامي أقل دقة . إذ قام بقسط في انضاج ذلك العلم وتنميته كثير من المسيحيين واليهود والزرداشتيين والوثنيين .

ومن جانب آخر لن يكون من العدالة أن نفصل الكتب المؤلفة بالعربية عن الكتب التي ألفت في نفس المحيط بالسريانية أو الفارسية أو العبرية . فهي جميعًا تؤلف وحدة من حيث روحها ومن حيث التأثير المتبادل بينها[232] .

ويوجد بوجه عام ـ هذا التقسيم الصناعي المحض في تاريخ الآداب العربية والفارسية والعبرية الخ .... ويريد بعضهم أن يفهم هذا التقسيم بمعنَى أن مؤلفي تلك التواريخ يعنون بقوالب الكتب التي يدرسونها في اللغات المختلفة أكثر من عنايتهم بالروح والجو الحقيقيين لهذه الكتب . بيد أنه ـ حتّى في هذه الحال ـ يجد القارئ الحصيف مثل هذا التقسيم متفتتا وغير طبيعي .

ومن ذلك نستطيع أن نقرّ أن القسم الأعظم من الآثار المتعلقة بالعلم العربي مكتوب باللغة العربية .

والايرانيون ـ بعد سقوط الدولة الساسانية اتخذوا العربية لغة لهم دون استثناء تقريبا ـ في جميع كتاباتهم العلمية والأدبية . وكان المسيحيون السريان من جانب آخر ـ مع كثرة استعمالهم اللغة العربية ـ يستخدمون اللغة السريانية في كتبهم أيضًا في جميع الأزمنة . ولكن من الواضح الجليّ أننا لا نستطيع أن ننظر في شخص واحد كابن العبري ، إلى شخصين اثنين ، بأن نبحث كتبه العربية في مكان ، وكتبه السريانية في مكان آخر . ومثل ذلك يمكن أن يقال بالنظر إلى اليهود في استعمالهم العبرية . فإن العلماء العظام منهم ، كتبوا جميع كتبهم تقريبا بالعربية ، ولكن كتبهم هذه سرعان ما ترجمت إلى العبرية . وهناك آخرون كتبوا باللغتين على التناوب . وفي نهاية العصر الذي نحن بصدده نشاهد عندهم الميل إلى تعريف شعوب غربي أوربا ، بالكتب العربية العظيمة المؤلفة باللغة العربية وذلك بوساطة ترجماتهم العبرية (233) . فمن الجليّ أن جميع هذه الكتب ـ التي كتبت بالعبرية ـ لا يمكن عدها منفصلة عن جملة العلم العربي ، في دراسة تاريخية (234) .

ولا يغير هذه التسمية عدم كون الكثيرين من الذين أسهموا في العلم العربي ـ تأليفا وممارسة ـ من دم عربي ... فما أهمية ذلك ؟ كما قال ماكس فانتاجو :

« فهل نظن أن كل من نسميهم يونانا هم من دم هيليني نقي ؟ لا أحد يزعم ذلك ، فقد كان بينهم ليديون وكاريون ومقدونيون وسوريون

نسميهم يونانيين لأنهم كانوا يتكلمون أو يكتبون أو يفكرون باليونانية . وكان ايزوقراط يقول : اليونان ، هم الذين يشاركون في تكوين ثقافتنا ، لا الذين يشاركوننا في أصولنا . وعلى الرغم من فوارق الجنس والعصر ، والأزياء واللهجات ، يظهر أن العبقريات المختلفة كالخوارزمي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون ، تسمح لنا ـ لمجرد كونها قد فكرت باللغة العربية ـ أن نسمي العصر الذي عاشت فيه (القرون الوسطى العربية) تماما كما نسمي العصر السابق باسم العصر اليوناني[235] » .

ويتصف هذا العلم العربي بالمزايا التالية :

(أ) **أنه كتب باللغة العربية** ، التي غدت لغة الثقافة والعلم والتجارة والناس خلال قرون ثمانية تمتد بين القرون الثالث والتاسع الهجريين (الثامن والخامس عشر الميلاديين) ، كما أنها كانت خلال هذه القرون لغة مفهومة محبوبة في بلاد تمتد بين بخارى شرقًا وقرطبة غربًا ، لغة كان البيروني العظيم يتعشقها ، ويتمسك بها ، ويفضلها على كل لغة .

« إن دولتنا وامبراطوريتنا عربيتان وتوأمان ، الأولى تحميها قوة الله ، والثانية تحرسها يد السماء ، ولطالما حاولت طوائف من الرعايا أن تتآلف سوية لإضفاء الصفة غير العربية على الدولة ، لكنها لم تنجح في هدفها ذاك ...[236] » ، فلقد كانت اللغة العربية بالنسبة له لغة الدين والعلم ، وأعظم وسيلة للتماسك ، وقد أعرب عن غيرته على هذا العنصر الحيوي في حضارته ـ بقوله « للسّب بالعربية أحبُّ إليّ من المديح بالفارسية » .

(ب) **إنه حلقة الإتصال والإستمرار** بين الحضارة القديمة وبين العالم الجديد[237] ، حلقة يجب أن تؤرخ وتفهم وتدرس ، وإلا وجدنا فراغًا

يتعذر تفسيره بين الحضارات القديمة وبين حضارتنا الحديثة[237] . بين العلم القديم الذي كان في حالة انحطاط ، وبين العلم الحديث الذي سيمهد لعصر النهضة[238] .

(ج) **وإنه قد حقق ما لم يستطع غيره أن يحققه من قبل ، أي «مزج العلوم اليونانية والهندوكية»**[239] ، محققا بذلك ما سماه فانتاجو المعجزة العربية Le Miracle Arabe[240] .

لقد تمت هذه المعجزة في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ذلك القرن الذي عرف عاهلين عظيمين هما هارون الرشيد وابنه المأمون ، أما الأول فقد رعَى العلم وكرم العلماء ، إلى حد أنه غسل يدي أحد كبار العلماء العرب على مشهد من الجمهور وكان ذلك تقليدا ماجدا[241] . وأنشأ الثاني (وهو المأمون) دار الحكمة وأرسل إلى الهند ، وإلى بيزانطة ، من يشتري المخطوطات ، أو ينسخها ، ثم يعود بها إلى بغداد لتترجم .

وحوالي هذين الخليفتين العظيمين كان هناك شعب ذكي متطلع إلى المعرفة ، فالشعوب لا تملك إلّا الحكام الذين تستحقهم[242] ، وعلماء كبار ، تمكنوا من المزج بين المعارف اليونانية والهندية ، مكتشفين خصوبة الجبر وروعة الحساب ، وفائدة الكيمياء ، عصر ينبغي أن يسمّى (المعجزة العربية)[243] .

(د) **ولقد تنوعت جوانب هذا العلم ، فكان فيها** العلوم البحتة The Exact sciences[244] ، وعلوم الحياة The life science[245] ، وكان فيها الجغرافيا[246] والكيمياء[247] والرياضيات[248] ، والفلك[249] ، والفيزياء[250] ، وكان فيها أيضا التطبيقات العملية[251] ، والطب[252] .

(هـ) **وقدم هذا العلم علماء أعلام نذكر منهم** : الرازي ، وابن سينا ، وابن النَّفيس ، والزَّهراوي ، وبنو زُهر ، وقد برعوا في الطب[253] . وابن وافِد والغافقي ، والإدريسي ، وابن البيطار ، ونبغوا في الصيدلة وجابر بن حيّان ، والرازي وقد (اهتمّا بالصيدلة وبرعا فيها) ، والخازن وابن الهيثم (وقد اهتمّا بعلم الكيمياء) والفارابي والكندي ولهما أبحاث في الموسيقا ، ولأولهما كتاب خاص هام في هذا العلم[254] ، وابن الهيثم وله كتابه العظيم (المناظر) الذي يعتبر أهم كتاب ظهر في القرون الوسطَى ومن أكثرها استيفاء لبحوث الضوء[255] ، وللخازن (ميزان الحكمة)[256] ، ولقطب الدين الشيرازي (نهاية الإدراك)[257] وفيه شرح وافٍ لظاهرة قوس قزح .

أما في الرياضيات فأسماء الخوارزمي والحسن بن الهيثم أشهر من أن تعرف ، وإنجازات العرب في الهندسة والجبر والحساب معروفة ، ونقل العرب الأعداد الغبارية إلى أوربا عمل هام جدا . فلقد اقتلعت الأعداد الرومانية وانقطع الرباط الذي ربط الناس هناك من قديم الزمان فلم يعرفوا غيره رباطا وحلت محلها الأعداد العربية التسعة ، وصحبها الصفر أخطر ما يكون عملا . وعليها تأسس علم الحساب الحديث الذي عليه تأسست ـ فيما تأسست ـ الحضارة العصرية[258] .

(و) **ويشكل الكتاب أهم ما قدم العرب** في مجال العلم ، فلقد دوّنت مؤلفات لا تحصَى في كل موضوع ، وذلك باللغة العربية التي كانت لغة العلم في الشرق . وفي جميع البلدان الإسلامية[259] . وعلى الرغم من أن كثيرا من كتب التراث العربي قد ضاع ، فإن ما بقي منها يعد في مجموعه من أوسع ما عرف في دوائر التراث[260] ، مما حدا بأحد المستعربين إلى أن

يؤكد «أنه قد جمع في اللغة العربية من كنوز المؤلّفات ما لم يجتمع مثله في سائر اللغات مجتمعة[261] » . وليس في ذلك أية مبالغة إذ يكفي أن يرجع إلى عناوين المؤلفات التي سجلها ابن النديم في (الفهرست) ، وطاش كبرى زاده في (مفتاح السعادة) وحاجي خليفة في (كشف الظنون) ، وبروكلمان في (تاريخ الأدب العربي) ، وفؤاد سيزكن في (تاريخ التراث العربي)[262] ، لنتأكد من ذلك .

(ز) **أما أثر العلم العربي** في تطوير العلم الإنساني فيتجلّى في حفظ التراث الإنساني وبخاصة العلم الإغريقي أولا . ثم في مزجه بالعلم الهندي ثانيا ، ثم في إعطاء العلم العربي ثالثا . وفي الزيادات المهمة التي أضافها إلى العلم الإنساني رابعا . وتفاصيل ذلك قد أصبحت مشهورة ويكفي أن نفتح أيا من الكتب التالية : تراث الإسلام لجماعة من المستشرقين بإشراف أرنولد[263] ، وفيه اثنا عشر بحثا تحيط بمعظم مناحي الفن والفكر العربي والإسلامي تناولها ثلاثة عشر عالما مستشرقا متألق الإسم طائر الشهرة في دائرة اختصاصه .

أو (الحضارة العربية) لريسلر ، وفيه فصل خاص عن (أثر الحضارة العربية في الحضارة الغربية) وقد عرف فيه بالآداب والفنون والعلوم البحتة والتطبيقات العلمية ، والطب والفلسفة ، مع أثر جميع هذه العلوم في الحضارة الأوربية[264] ، والذي أنهاه بقوله في نهاية بحثه عن التطبيقات العملية التي أخذها الغرب عن العرب وهي (الورق والزجاج والنسيج والجلود والمعادن والميكانيك والزراعة والتجارة) ، وعن المفردات الكثيرة التي نقلت بلفظها إلى الفرنسية .... يكتب ريسلر قائلا : لنتخيل أن أوربا لم تجد في فجر العصور الحديثة هذه الأنواع الثلاثة من التراث العربي الذي

أسهم به العرب وهي البارود والبوصلة والكتاب . ترى كيف تكون أوربة ؟ وكم ستتأخر النهضة الأوربية[265] . أو كتاب (أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية) الذي أعده مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية واالعلوم والثقافة (اليونيسكو)[266] ، الذي سجل أن «التاريخ الحضاري لبني الإنسان قائم على التعاون والأخذ والعطاء فلا محل فيه لشعور بالإستعلاء من جانب المعير، أو بالفضاضة من جانب المستعير[267] » . والذي هو مجموعة من الأبحاث في الأدب والفلسفة والعلوم الطبيعية والجغرافيا، والمعارف الملاحية، والتاريخ والعمارة والتحف الفنية والموسيقى[268] ، أو كتب (دور العرب في تكوين الفكر الأوربي) لعبد الرحمن بدوي[269] ، و(مآثر العرب على الحضارة الأوروبية[270]) ، و(أثر العرب في الحضارة الأوربية) وكلاهما لجلال مظهر[271] .

أقول يكفي أن نفتح أيا من الكتب التي ذكرناها آنفا حتّى نتأكد من حقيقة ما قلنا ، ومن أن القرون الخمسة التي ازدهرت فيها الحضارة العربية تعد بين أكثر العصور روعة في تاريخ الفكر الإنساني ، وإن تيار الثقافة المولود في مصر وكلدان وآشور وفينيقية ، والذي انتقل إلى اليونان قد أخذه العرب ، ونموه بمنابع الإستيحاء الهندية ، ثم وسعوه بمساهمتهم الأصيلة ، وساروا به عبر إفريقية إلى إسبانيا ، حيث نما هناك وازدهر ، ثم انتقل إلى طليطلة ومراكز الفكر الغربي في جنوبي فرانسة ، ومنها إلى أروبة الغربية كلها[272] .

ويحدد دور العرب في التاريخ الإنساني ، أخذ وإبداع وإعطاء . وإسهام منحه الشعب العربي للتقدم الإنساني في العصر الوسيط[273] .

وهكذا تكون مزايا العلم العربي : كونه باللغة العربية ، وحلقة الإتصال بين حضارتين ، ومزجا بين العلوم اليونانية والهندوكية لجوانب متنوعة من العلم ؛ في كتب رائدة كثيرة جدا ، مما هيأ له مكانة خاصة في تاريخ الإنسانية وأثرًا في تطوير العلم الانساني .

ويشكل التراث النباتي العربي قسما من العلم العربي الذي بينا صفاته وميزاته فيما سبق ، إن هذه الميزات التي تحدثنا عنها سابقا تكاد تنطبق على علم النبات لدى العرب بعد الإسلام : لقد كتب باللغة العربية ، لغة الثقافة والعلم والناس خلال قرون الحضارة العربية الزاهية ، وهو حلقة الإتصال والإستمرار بين الحضارة القديمة وحضارة العالم الحديث ، وهو قد حقق معجزة مزج العلوم اليونانية بالعلوم الشرقية الهندية منها والبابلية ، وهو قد قدم علماء أعلاما نذكر منهم : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، والأصمعي ، وابن سلام ، والباهليّ ، ومحمد بن حبيب ، وابن السكيت ، والسكري ، والدينوري وابن دُريد ، والأزهري ، والجوْهري ، وابن سيدة ، والصاغاني ، والفيروز أبادي والزُبيدي ، والكندي ، والرازي ، وابن سينا ، والبيروني ، وابن مسكويه ، والصُّوري ، وعبد اللطيف البغدادي ، والخويني ، والأنطاكي ، وابن الهيثم ، وابن رضوان ، وابن البيطار ، وابن جُلْجُل ، وابن وافد ، والبكري ، والغافقي ، والإدريسي ، والزهراوي ، وابن زهر ، وابن الروميّة ، وابن وحشية ، وشيخ حطين الأنصاري الدمشقي ، وابن بصال ، والتغراني ، والتجيبي ، وابن العوّام ، يضاف اليهم الجغرافيون والرحالة والموسوعيون العرب الذين عالجوا النبات في كتبهم عن الجغرافيا والرحلات ، وفي موسوعاتهم والذين نذكر منهم :

اليعقوبي ، وابن رستة ، والهمداني ، وابن فضلان ، والبكري ، والهَرَوي ، والقزويني ، والورّاق الوطواط ، والنويري ، والبغدادي والعُمري ، وابن بطوطة ، وابن الوردي .

أولئك االأعلام الذين تحدثنا حديث إسهامهم العلمي في الترّاث النباتي العربي ، وسمينا مؤلفاتهم ، وعرفنا بها تعريفا موجزا في غالبية الأحيان ، وتعريفا مفصلا في بعضها الآخر ، وحسبنا أن نحيل القارىء على الفصول السابقة ، وأن يتذكر أن عددها قد تجاوز المائة ، وأن الكثير من هذه المؤلفات في أجزاء ضخمة ، وبعضها قد دخل الترّاث الإنساني وترجم إلى لغات مختلفة ، محققًا ماكنا قد قدمناه منذ قليل من أهمية الكتاب الذي كان أهم ما قدمه العرب في مجال العلم ، والذي كان مع البارود والبوصلة الأدوات التي دفعت أوربا إلى عصر النهضة ويسرت لها أن تسرع بنهضتها ، تلك النهضة التي رأى أحد مؤرخي الحضارة أنها كانت ستتأخر كثيرا لو لم تتزود أوربا في مفتتح عصر النهضة بهذا الزاد الحضاري الذي أخذته عن العرب والذي تمثل في الكتاب والبارود والبوصلة[265] .

ولقد رأينا أن الترّاث النباتي العربي إنما تجلّى في أربعة أنواع : كان للأول صلته باللغة ، والثاني بالطب ، والثالث بالفلاحة والرابع بالجغرافيا والرحلة والروح الموسوعية ، وأن هذه الأنواع كثيرا ما تجتمع لدى عالم واحد وكثيرا ما يجمع بعض المؤلفين بين صنفين منها ، وأنها تلتقي كلها حول علم النبات ، وحول الإسهام العربي في هذا القسم من أقسام العلوم الطبيعية ، التي أخذ العرب فيها عمن سبقهم من الأمم ، وعن اليونان منها خاصة ، ثم حفظوا هذا الذي أخذوه ، ونمّوه ، وزادوا فيه ، وأسلموه من بعد ذلك إلى أروبا في مفتتح نهضتها الحديثة .

بقي أن نطرح مع القارىء سؤالا طالما جال بذهننا ونحن نقرأ التراث النباتي العربي ، ونطالع حوله ، ثم حين كنا نخط صفحات هذا المؤلف ، في ليالي الخريف اللطيفة من عام 1402 الهجري و 1982 الميلادي ، سؤال يقول :

ولكن ما قيمة هذا الذي خلّفه أجدادنا العرب بعد الإسلام في ميدان علم النبات؟

أله قيمة تاريخية فقط ؟ أم أنه ، كله أو بعضه ، لا يزال يحمل قيمة علمية مستمرة حتّى اليوم؟

إن الجواب عن الشق الأول من هذا السؤال سهل يسير ، فالذي لا شك فيه أن لهذا التراث النباتي العربي قيمة تاريخية هامة جدا ، تكمن فيما ضم من تراث أمتنا ، والأمم التي سبقتها من جهة ، ثم هو جهد كبير ضخم لعلماء أعلام خلال قرون تعد في تاريخ الحضارة من أزهى العصور .

أما الجواب عن الشق الثاني من السؤال فأمر لا نملكه نحن باعتبارنا لا نملك وسيلته وهو معرفة العلم النباتي الحديث الذي هو الوسيلة الرئيسية واللازمة لتقويم ما قدم أجدادنا في ميدان علم النبات . وأننا لنعترف أننا لم نعثر فيما قرأنا حوله ، وهو كثير ، على آراء دقيقة مفصلة فيها القيمة العلمية لهذا التراث العربي من وجهة نظر العلم الحديث ، فإذا ما استثنينا ما سجل في مقالة (فلاحة) ، من الطبعة الجديدة لدائرة معارف الإسلام ، حول قيمة التراث العلمي العربي في ميدان الفلاحة ، فإننا لم نعثر على ما نريد من جواب دقيق عن السؤال الذي لا يزال يجول بذهننا حول ما تبقّى من علم التراث العربي ، مما له قيمة من وجهة نظر العلم الحديث .

نترك ذلك إلى المختصين الذين سيسهمون في الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب ، والتي ستعقد في الكويت في أواخر عام 1983 الميلادي ، والتي سيكون التراث النباتي العربي عامة ، والفلاحي منه خاصة المحور الرئيسي للمؤتمر .

إننا سنعثر ، ولا شك ، على أجوبة كثيرة عن سؤالنا هذا ، أجوبة نأمل أن تكون علمية ، وموضوعية ، ودقيقة ، تضع الأمور في نصابها التاريخي والحضاري .

هوامــش وتعليقــات

(231) ميلي ، العلم العربي ، الترجمة العربية ، ملخص من ص 16 و 17 و 18 و 19 وينظر كتابنا كتب أنصفت حضارتنا ص 159 و 160 و 169

(232) ميلي ، المصدر السابق ص 144 من الترجمة العربية ، وينظر مؤلفنا كتب أنصفت حضارتنا ص 163 و 170 .

(233) ميلي ، العلم العربي ، ص 146 ، وكتابنا ، كتب... ص 164

(234) ميلي ، العلم العربي ، ص 146 وما بعد .

(235) ماكس فانتاجو ، المعجزة العربية ، ترجمة رمضان لاوند ، دار المكشوف ، بيروت 1952 ص 101 .

(236) ايتنكها وزن ، التصوير العربي ، الترجمة العربية ، ص 11 و 12 ، ومؤلفنا كتب أنصفت حضارتنا ص 211 .

(237) ميلي ، العلم العربي ، ص 144 من الترجمة العربية .

(238) فانتاجو ، المعجزة العربية ص13 ، وألدو ميلي ص 11 من العلم العربي .

(239) فانتاجو ، المعجزة العربية ، ص 44 .

(240) عنوان الكتاب الذي ألفه فانتاجو بالفرنسية وطبع بباريس عام 1950

(241) فانتاجو ، المعجزة العربية ص 50

(242) فانتاجو ، المعجزة العربية ص 56

(243) فانتاجو ، المعجزة العربية ص 60

(244) عنوان الفصل الذي كتبه الدكتور عبد الحميد صبرة في كتاب (عبقرية الحضارة العربية) المشار إليه سابقا ص 121

(245) عنوان الفصل الذي كتبه الدكتور سامي خلف حمارنة من كتاب عبقرية الحضارة العربية المشار إليه سابقا ص 145

(246) ينظر كتاب المستعرب كراتشكوفسكي (تاريخ الأدب الجغرافي العربي) .

(247) ينظر مثلا ما كتبه جاك ريسلر في مؤلفه الحضارة العربية La civilisation Arabe باريس 1962

(248) ريسلر ، المصدر السابق ، ص 152

(249) ريسلر ، المصدر السابق ، ص 154

(250) ريسلر . المصدر السابق . ص 156

(251) ريسلر . المصدر السابق . ص 157

(252) ريسلر . المصدر السابق . ص 166

(253) مرحبا ، محمد عبد الرحمن . الموجز في تاريخ العلوم عند العرب . دار الكتاب اللبناني بيروت . الطبعة الثانية 1978 . ص 94 وما بعد .

(254) مرحبا . المصدر السابق . ص 100 وما بعد

(255) مرحبا . المصدر السابق . ص 118

(256) مرحبا . المصدر السابق . ص 114

(257) مرحبا ، المصدر السابق . ص 112

(258) مرحبا . المصدر السابق . ص 113

(259) مرحبا . المصدر السابق . 127

(260) سيديو . تاريخ العرب العام ص 384 . وكتابنا ص 237

(261) ريسلر . الحضارة العربية ص 195

(262) ريسلر . الحضارة العربية ص 195

(262) فؤاد سيزكن ، تاريخ التراث العربي بالألمانية في خمسة أجزاء ضخمة صدر الأول عام 1967 ، وهو خاص بعلوم القرآن والحديث والفقه والعقائد والتصوف . والثاني عام 1976 وهو خاص بالشعر . والثالث عام 1970 . ويضم كتب الصيدلة وعلم الحيوان والطب البيطري . والرابع وفيه كتب السيمياء . والكيمياء . وعلم النبات والزراعة وقد صدر عام 1971 . والخامس وهو خاص بالرياضيات وقد صدر عام 1974

(263) تراث الإسلام . بإشراف أرنولد . عربه وعلق حواشيه جرجيس فتح الله . دار الطليعة . بيروت 1972

(264) ريسلر . الحضارة العربية . ص 145 وما بعد

(265) ريسلر . الحضارة العربية . ص 167 وما بعد

(266) أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية . الهيئة العصرية العامة للتأليف والنشر . ويقع الكتاب في 460 ص

(267) أثر العرب والإسلام . المقدمة ص 5

(268) أثر العرب والإسلام . المقدمة ص 6

(269) منشورات دار الآداب ببيروت 1965

(270) مكتبة الأنجلو المصرية 1960

(271) منشورات دار الرائد ، بيروت 1967

(272) ريسلر ، الحضارة العربية ص 195

(273) جحا ، فريد ، كتب أنصفت حضارتنا ص 249

خاتمة

وهكذا نكون قد وصلنا إلى الصفحات الأخيرة من هذا الكتاب ، الذي نعلن بصراحة أننا كنا فيه سعداء إلى أقصَى حدود السعادة : سعادة الإنسان الذي يكسب ثروة علمية يضيفها إلى ما لديه : لقد تفتح أمام أعيننا كنز من المعرفة العلمية التي أسهم بها أجدادنا في ميدان علم النبات ، ذلك الميدان الهام من ميادين تراثنا العلمي العربي .

أما الآن فيا للسعادة تغمر القلب بعد أن عرفنا ما عرفنا ، وبعد أن سجلنا ما أمكننا تسجيله في الصفحات السابقات التي نأمل أن تكون قد أدت خدمة للتاريخ العلمي بصورة عامة ، ولتاريخ الحضارة العربية بصورة خاصة ، هذه الحضارة ، التي كانت حلقة في سلسلة الحضارات الإنسانية ، والتي أبدعت في مجالات كثيرة ، وأسهمت ، بشكل خاص في تطور العلم العالمي ، وتركت آثارا لا تنكر ، في النهضة الأوربية الحديثة ، هذه النهضة التي لا نزال نحن أبناء الأمة العربية ، نتفيأ ظلال الأشجار التي نمت فيها ، نتيجة البذرة الطيبة التي بذرها أجداد لنا في تربة الإنسانية ، فأعطت شجرًا ناميًا ، أصله ثابت ، وفرعه في السماء ... شجرة الحضارة التي غرست في الشرق ، ونمت في الغرب ، وأزهر على أغصانها نوْر من النُّور ، ونَوْر عطر الشذا ، زكيّ الغرس ، تفتحت فيه زهرات الأمم

العريقة ، وبينها زهرةٌ للعرب ، ما أذكَى رائحتَها ! وما أجملها ! زهرة ينعم بها الإنسان ! ونأمل أن نضع إلى جانبها نحن أبناء العرب في القرن العشرين ، زهرة أخرى ، يتضوع شذاها خدمة لنا ، ولبني الإنسان في كل زمان ومكان .... وما عملنا في هذا الكتاب سوى إرواءٍ لتلكم الزهرة القديمة ، وتمهيدٍ للزهرة الجديدة ، لكي تتفتح قائلة للدنيا :

«أنا الزهرة العربية ، على شجرة الحضارة الإنسانية ، هاكم شذاي ، وإليكم أوراقي ولتسعدوا بي ، يا أبناء البشر جميعا» .

حلب الشهباء ، في الأول من محرم لعام 1403 الهجري الموافق للسابع عشر من تشرين الأول لعام 1982 الميلادي .

ثبـــت المصـــادر

1 ـ ابن البيطار (ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي) ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية . أربعة أجزاء في مجلد واحد ، القاهرة 1291 هـ .

2 ـ ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبو العبـــاس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السَعدي الخَزرجي) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء . القاهرة 1300 هـــ 1882 م في مجلدين ، دار مكتبة الحياة ، بيروت 1965 .

3 ـ ابن بصّال (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن بصال الطليطلي) كتاب القصد والبيان ، أو كتاب الفلاحة ، مطبعة كريماوس ، تطوان ، بدون تاريخ ومعه الترجمة الإسبانية :

Ibn Bassal, Libro de Agricultura.

4 ـ ابن بطُّوطة (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله اللواتي الطَّنجي) تُحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأقدار ، المطبعة الأزهرية ، القاهرية ، 1346 هـــ 1928 م

5 ـ ابن حجّاج (أبو عمر أحمد بن محمد بن حجاج) له كتاب في الفلاحة بعنوان المقنع ، ألفه سنة 1073 م .

6 ـ ابن خالويه (أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن خالويه) كتاب النبت والشجر، طبع المانيا 1909.

7 ـ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الحضرمي.

8 ـ ابن خِلّكان (شمس الدين أبو العباس، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان) وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان، طبع بعناية المستشرق وستنفلد، غوطا 1250ـ 1835.

9 ـ ابن خرداذبة (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة)، المسالك والممالك، باشراف دي خويه، دار بريل، ليدن 1899.

10 ـ ابن دُريد (محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن ختم بن حسن بن حامي الأزدي) جمهرة اللغة.

11 ـ ابن رُستة (أبو علي أحمد بن عمر بن رستة) الأعلاق النفيسة، دار بريل، ليدن 1891

12 ـ ابن سيدة (أبو الحسن علي بن اسماعيل)، المُخصّص، طبعة بولاق في 17 جزءا، 1316 ـ 1321 هـ.

13 ـ ابن سينا (الحسين ـ أبو علي بن عبد الله بن عبد الله بن الحسن بن علي) القانون في الطب، طبعة روما، عام 1593، وفي أمكنة أخرى، النجاة مع القانون 1593 روما، والقاهرة 1331 هـ.

14 ـ ابن العماد (عبد الحي)، شَذَرات الذَهب في أخبار مَنْ ذَهب، مكتبة القدسي، القاهرة 1350 هـ.

15 ـ ابن العوّام (أبو زكريا يحيَى بن محمد بن أحمد بن العوام) ، كتاب الفلاحة ، ونشره وترجمه إلى الاسبانية T. A. BANQUERI ، مدريد 1802 .

16 ـ ابن العوّام ، رسالة في الكرم ، استوكهولم 1889 م .

17 ـ ابن فَضلان (أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد) ، رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة ، تحقيق د. سامي الدهان ، نشر وزارة الثقافة بدمشق 1977 .

18 ـ ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي) ، البداية والنهاية ، مطبعة السعادة ، القاهرة .

19 ـ ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم) ، الكامل في التاريخ أو كامل التواريخ ، المطبعة الأزهرية 1302 هـ .

20 ـ ابن منظور (محمد بن مكرّم بن علي) ، لسان العرب ، دار صادر ـ دار بيروت 1374 هـ 1955 م وما بعد .

21 ـ ابن النّديم (أبو الفرج محمد بن اسحق بن أبي يعقوب النديم الوراق البغدادي) ، كتاب الفهرست ، طبعة فلوغل 1871 م .

22 ـ ابن الوردي (سراج الدين أبو حفص عمر بن مصطفَى بن محمد القرشي البكري) ، جريدة العجائب وفريدة الغرائب ، المطبعة التليانية ، القاهرة 1892 م .

23 ـ أبو سعد (أحمد) أدب الرحلات ، منشورات دار الشرق الجديد ، بيروت 1962 .

24 ـ أبو الفِداء (عماد الدين أبو إلفداء ، اسماعيل بن علي صاحب حماه) المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحسينية ، القاهرة 1325 هـ .

25 ـ ايتنكهاوزن (ريتشارد) ، التصوير العربي بالفرنسية ، جنيف 1962 .

Richard Ettinghausen, La Peinture Arabe, Edition Skira 1962

26 ـ الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الصقيلي) الجامع لصفات أشتات النبات ، وضروب أنواع المفردات من الأشجار والثمار والأصول والأزهار والمعادن والأطيار .

27 ـ الإدريسي ، نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزاير والمداين والآفاق ، دار بريل ، ليدن 1970 ـ 1971 .

28 ـ الأصمعي (مالك بن قُريب) كتاب النبات والشجر بيروت 1908 م .

29 ـ الأنطاكي (داود بن عمر) ، تذكرة أولى الألباب ، والجامع للعجب العجاب ، القاهرة 1308 ـ 1309 هـ ـ 1890 ـ 1891 م .

30 ـ الأندلسي (القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد صاعد القرطبي الأندلسي الطليطلي) طبقات الأمم ، المطبعة اليسوعية ، بيروت 1912 .

31 ـ أهلواردت

Ahlwardt; Verzcelunss der arabischen landschriften

32 ـ أولمان (مانفريد) ، الطب الإسلامي ، ترجمة الدكتور يوسف الكيلاني ، مطابع الهدف الكويت 1401 هـ ـ 1981 م .

33 ـ بالأنثيا (آنخل غونثالث) ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1955 .

بالإسبانية

Angel Conzalez Palencia Historia de la literatura Arabiqua Espanula, Madrid 1945

34 ـ بروكلمان (كارل) تاريخ الأدب العربي بالألمانية في خمسة مجلدات :

Geschichte des Arabischen litteratur

35 ـ بروكلمان (كارل) مقالته عن الدينوري في دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ج9 ص 395 وفي النسخة الفرنسية . المجلد الأول ص 1004 ـ 1005 .

36 ـ البصري (علي بن حمزة) التنبيهات على أغلاط الرواة .

37 ـ البغدادي (عبد القادر بن عمر) ، خزانة الأدب ولب لباب العرب ، بولاق ، 1299 .

38 ـ البغدادي (إسماعيل باشا بن محمد أمين بن ميرسليم) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، استامبول 1947 .

39 ـ البغدادي (إسماعيل باشا) ، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المحققين ، مطبعة المعارف استامبول 1951م .

40 ـ البغدادي (موفق الدين أو محمد عبد اللطيف بن يوسف) . الإفادة والإعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر . مطبعة المجلة الجديدة ، ومجلة المصري ، القاهرة 1934م

41 ـ البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد المرسي) أعيان النبات والشجريات الأندلسية .

42 ـ وجزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك ، ذات السلاسل ، الكويت 1397 هـ ـ 1977 م

43 ـ البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي) كتاب الصيدلة في الطب .

44 ـ التجيبي (أبو عثمان سعيد بن أبي جعفر) إبداع الملاحة وإنهاء الرجاحة في أصول صناعة الفلاحة (أرجوزة شعرية) .

45 ـ التغزي (أبو عبد الله بن محمد بن مالك) له مخطوط بعنوان : زهر البستان ونزهة الأذهان

46 ـ جحا (فريد) كتب أنصفت حضارة العرب ، دار الأنوار ، دمشق 1978 .

47 ـ جماعة من العرب والمستعربين : عبقرية الحضارة العربية ، مصدر النهضة ، الأصل باللغة الإنكليزية بعنوان : Genius of Arab Civilization, source of Renaissance, New York 1975 وقد ترجمته وزارة الثقافة بدمشق وطبع عام 1982 .

48 ـ جماعة من العلماء الباحثين المصريين : أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية ، القاهرة 1970

49 ـ الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري) ، تاج اللغة وصحاح العربية ، طبع عدة مرات وأجود طبعاته بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار القاهرة 1376 ، 1956 .

50 ـ حاجي خليفة (مصطفى عبد الله الشهير بحاجي خليفة) ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مطبعة المعارف ، استامبول 1941 .

51 ـ حكمت (نجيب عبد الرحمن) ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، جامعة الموصل 1397 هـ 1977 م .

52 ـ حمارنة (سامي خلف) ، مقالته عن علوم الحياة في كتاب عبقرية الحضارة العربية ، مصدر النهضة المشار إليه سابقا ، وكتابه تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، مطبعة دار التجليد الفني ، القاهرة ، 1967 .

53 ـ حميدة الله (محمد) بمقالته عن الدينوري في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد 30 ص 409 ـ 415 .

54 ـ وباللغة الإنكليزية

M. Hannidallah, Dunawary's,

Encyclopedia Botanica (K. an-Nahat in the hight of Fragment in Turkish Libraries . Mélanges F. Koprliu; 1953 P. 195-206

55 ـ الخويني (يوسف بن إسماعيل) ، ما لا يسع الطبيب جهله ، مخطوطة منه بمعهد التراث العربي العلمي بجامعة حلب .

56 ـ خير الله (أمين أسعد) ، الطب العربي ، الطبعة الأميركانية ، بيروت 1946 م .

57 ـ دائرة معارف الإسلام Ency. de l'Islam النسخة الفرنسية من الطبعة القديمة في أربعة مجلدات صدرت في العشرينات والثلاثينات من

هذا القرن ، وترجم خمسة منها في ثلاثة عشر مجلدا خورشيد ورفاقه ، القاهرة 1352 هـ ـ 1933 م وما بعد

58 ـ دائرة معارف الإسلام Ency. de l'Islam النسخة الفرنسية من الطبعة الجديدة ، بدءاً من عام 1957 ، وقد صدر منها حتّى الآن أربعة مجلدات وبلغت الحرف (K)

59 ـ دائرة معارف البستاني (بطرس البستاني) .

60 ـ الدّفاع (علي عبد الله) ، الموجز في التّراث العلمي العربي الإسلامي ، جون وايلي وأولاده نيويورك 1979 .

61 ـ دوساسي (س) صلات مصر ، بالفرنسية Relations d'Egypte

62 ـ ديتس Fr. R. Ditz

Anelecter Medico etc. Elenchus

Meteria Medica Ibn Beitharis 1833 ليبسك

63 ـ دوسلان ثبت المخطوطات العربية ، بالفرنسية

De Slane, Catalogue des Manuscrits arabes

64 ـ الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داوود بن ونند) ، الأخبار الطوال ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1960 .

65 ـ ديورانت (ويل) ، قصة الحضارة ، ترجمة بدران ، الجزء الثالث عشر ، القاهرة 1957 .

66 ـ ديوسقوريدس ، ترجمة كتاب الحشائش ، أو هيولي علاج الطب أو الأدوية المفردة . Dioscories, Materia Medica

67 ـ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، دار الرسالة ، بيروت 1981 م وما بعد .

68 ـ الرازي (أبو بكر محمد بن زكريا) ، كتاب الحاوي في الطب ، مطبعة دائرة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن 1374 ـ 1387 هـ ـ 1955 ـ 1968 م

69 ـ الرفاهي (أنور) ، تاريخ العلوم في الإسلام ، دار الفكر ، دمشق 1393 هـ 1973 م

70 ـ روسكا (ت) Ruska (T) مقالة ابن البيطار ، دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ، الجزء الأول ص 104 . والنسخة الفرنسية القديمة ، المجلد الثاني ص 387

71 ـ ريسلر ، الحضارة العربية ، بالفرنسية ، باريس 1962

Risler (J) La civilisation arabe, Payot, Paris 1962

72 ـ الزَّبِيْدي (مجد الدين أبو الفيض محمد بن محمد بن محمد الشهير بمرتضى الحسيني الزبيدي الواسطي) ، تاج العروس في شرح القاموس ، تطبع في الكويت طبعة حديثة وقد ظهر منه حتّى الآن نيف وعشرون مجلدا .

73 ـ الزَهراوي (أبو القاسم خلف بن عباس) التصريف لمن عجز عن التأليف ، طبعة أوكسفورد مع ترجمة لاتينية ، أوكسفورد 1778 م .

74 ـ الزركلي (خير الدين) قاموس الأعلام ، الطبعة الثالثة 1389 هـ ـ 1969 م

75 ـ سارتون (جورج) ، مقدمة لتاريخ العلم ، بالإنكليزية 1927 ـ 1948

Sarton (G), Introduction to the history of science 1927-1948

76 ـ وتاريخ العلم بالإنكليزية 1952 في مجلد واحد ، ترجمه إلى اللغة العربية في خمسة أجزاء .

77 ـ سركيس (يوسف اليان) معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مطبعة سركيس ، القاهرة 1346 ـ 1928م

78 ـ سونتايمر (ج. ف.) ترجمة كتاب ابن البيطار إلى الألمانية ، شتوتغارت 1870 ـ 1872

Sontheimeir (J. V) Zusammensbliung uber die Krefte der bek, enfhei -
Stuttgart 1870-1872

79 ـ سيكنبجر ، نباتات ابن البيطار المصرية ، بالفرنسية في مجلد المجمع العلمي المصري ، المجموعة الثانية رقم 10 ، 1890

Les Plantes Egyptiennes d'Ibn Al-Baitar

80 ـ سيلبربرغ Silberberg, Des planzenb
Des Dinawari, in Zeilscher Fur Assyriologie

ج 24 ، 1910 ص 225 ـ 265
ج 25 ، 1911 ص 39 ـ 88

81 ـ السيوطي (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر السيوطي) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، مطبعة السعادة ، القاهرة 1326 .

1324 .

83 ـ سيزكن (فؤاد) ، تاريخ التراث العربي ، صدر بالألمانية منه ثمانية مجلدات 1967 ، 1978 ، وترجم قسم من المجلد الأول في ثلاثة أجزاء

Sezgin (Fuad), Geschsche des Arabichen Schrifttums, Brill, Leiden 1967-1978

في نهاية المجلد الرابع ، ثبت غني بالمصادر .

84 ـ الشهابي (مصطفى) ، مقالة في مجلة معهد المخطوطات العربية عن ابن البيطار ، المجلد 3 ص105 .

85 ـ ومقالة عن الدينوري في مجلة المجمع العلمي العربي المجلد السادس والعشرون ص346

86 ـ ومقالة (فلاحة) Filahat في دائرة معارف الإسلام ، النسخة الفرنسية من الطبعة الجديدة

87 ـ الصَّفَدي (صلاح الدين ، أبو الصفا ، خليل بن أيبك المشهور بالصفدي) الوافي بالوفيات ،

88 ـ الصَّغاني ، أو الصاغاني ، (الحسن بن محمد بن الحسن) ، العباب الزاخر واللباب الفاخر .

89 ـ صلاح الدين (عثمان هاشم) مقدمة ترجمته كتاب كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1963 .

90 ـ الصوري (رشيد الدين أبو المتصور بن أبي الفضل بن علي) ، كتاب الأدوية المفردة .

91 ـ الصياد (محمد محمود) الفصل الذي كتبه عن الجغرافيا في كتاب ، أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية .

92 ـ ضيف (شوقي) ، الرحلات ، دار المعارف بمصر ، القاهرة 1956

93 ـ طاش كبري زاده ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، حيدر آباد الدكن 1328 هـ

94 ـ طوقان (قدري حافظ) الخالدون العرب .

95 ـ والعلوم عند العرب ، مكتبة مصر ، القاهرة 1960 .

96 ـ عامر (عبد المنعم) مقدمة كتاب الأخبار الطوال ، القاهرة 1960 .

97 ـ عبد الرحمن (حكمت نجيب) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، الموصل ، 1327 هـ ـ 1917 م

98 ـ العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيَى بن فضل الله) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، في 32 مجلدا طبع منها مجلد واحد .

99 ـ عينتابي (فؤاد) ، مجلة المقتطف ، المجلد 93 ص 337 ، مقال عن ابن البيطار .

100 ـ عيسَى بك (الدكتور أحمد) ، تاريخ النبات عند العرب ، مطبعة الإعتماد ، القاهرة 1363 هـ 1944 م

101 ـ غريّب (جورج) ، أدب الرحلة ، دار الثقافة ، بيروت 1966 .

102 ـ فانتاجو (ماكس) المعجزة العربية ، بالفرنسية ،
Vintajoux (MAX), Le Miracle Arabe, Charlote, Paris 1950
وترجمة رمضان لاوند ، مطابع دار الكشاف ، بيروت 1954 .

103 ـ الفراهيدي (الخليل بن أحمد) معجم العيْن

104 ـ فروخ (عمر) ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت 1980 .

105 ـ فلوغل Flugel, Die Grammatichen Schulender Araber 1862

106 ـ فيرنيه (ج) ، مقالة ابن البيطار في دائرة معارف الإسلام ، النسخة الفرنسية من الطبعة الجديدة ، المجلد الثالث ص759 .

107 ـ الفيروزبادي (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن عمر بن أبي بكر) ، القاموس المحيط .

108 ـ القرشي (محي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي الوفا محمد بن نصر الله بن سالم) ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، حيدر آباد الدكن 1332 هـ

109 ـ القزويني (أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود القاضي جمال الدين أبو يحيَى الأنصاري) ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، مطبعة التقدم ، القاهرة بدون تاريخ .

110 ـ قطاية (سلمان) مخطوطات الطب والصيدلة في المكتبات العامة بحلب ، مطبعة جامعة حلب ، حلب 1976 م ـ 1396 هـ

111 ـ القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن أحمد بن محمد بن اسحق بن محمد بن ربيعة الشيباني) ، أخبار العلماء الحكماء ، القاهرة 1326 هـ

112 ـ القُمِّي (محمد رضا) ، هدية الأحباب .

113 ـ قنواتي (جورج شحاته) مؤلفات ابن سينا ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 1950 .

114 ـ الكُتبي (صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الحلبي الداراني ثم الدمشقي الكُتبي) فوات الوفيات ، بولاق 1283 ـ 1292 هـ

115 ـ كحالة (عمر رضا) معجم المؤلفين في أربعة عشر مجلدا ، مطبعة الترقي 1376 هـ ـ 1957 م وما بعد .

116 ـ كراتشكوفسكي (ايناس أوليانوفتش) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، الترجمة العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1964 .

117 ـ لوكلير (لوسيان) تاريخ الطب العربي بالفرنسية باريس 1871 ، مجلدان .

Lucien Leclerc, Histoire de la Medecine Arabe, 2. V. Paris 1871

118 ـ لوكلير (لوسيان) ترجمة كتاب ابن البيطار إلى الفرنسية في :

Traité des simples par Ibn Albitar, Notices et extraits

119 ـ لوكلير (لوسيان) دراسات تاريخية ولغوية حول ابن البطار . بالفرنسية ، المجلة الآسيوية ، المجموعة الخامسة ، المجلد 19 . لعام 1862م ، 433 ـ 461

Etudes Historiques et philologiques sur Ibn Beithar

120 ـ لوين (ب) ، مقالة الدينوري في دائرة معارف الإسلام ، النسخة الفرنسية ، من الطبعة الجديدة ، المجلد الثاني ص 308 .

121 ـ لوين (ب) مقدمة كتاب النبات للدينوري ، القسم المطبوع ببيروت ، مكتبة لبنان ، بيروت 1394هـ 1974م باللغة العربية ، ومكتبة الكتاب نفسه باللغة الإنكليزية

122 ـ لوين (ب) كتاب النبات للدينوري . بالترتيب الأبجدي من أ إلى ز ، عن مخطوطة وحيدة في مكتبة جامعة استبـول . مع مقدمة . ملاحظات وملاحق ، ومفردات لكلمات منتخبة بقلم برتراندلوين اوبسالا ـ ويسبادن 1953

Abu Hanifa, K. an-Nabat; The book of Plants of Abu Hanifa ad-Dinawari.- Part of the Alphabetical Section (أ-ز). Ed. from the unique MS. the Library of the University of Istanbul, with an Introduction, Notes, Indices, and a Vocabular ofs Selected Words by Bernhard Lewin. Uppsala-Wiesbaden 1953 (Uppsala Universtiy Arsskrift 1953; 10

123 ـ ماير (ا.) تاريخ علم النبات بالألمانية ، المجلد الثالث

E. Meyer, Geschichte der Botanik 1856 V. 3

124 ـ مايرهوف ، مقالته بالفرنسية ، في مجلة الأندلس ، مدريد ، الجزء الثالث 1935 ، بعنوان ، تاريخ الصيدلة والنبات لدى مسلمي إسبانيا .

125 ـ مايرهوف ، مقالته عن الطب في تراث الإسلام بإشراف أرنولد ، الأصل باللغة الأنكليزية Leagacy of Islam

الترجمة العربية ، دار الطليعة ، بيروت 1972

126 ـ مؤلف مجهول ، عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب ، قام آسين بلاسيسو بتحقيقه ونشره . الكتاب مؤلف في نهاية القرن الحادي عشر ، أو بداية القرن الثاني عشر الميلاديين .

127 ـ مرحبا (محمد عبد الرحمن) ، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ، منشورات دار الفيحاء ، بيروت 1980 .

128 ـ مرحبا (محمد عبد الرحمن) ، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1978 .

129 ـ المسعودي (أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي المسعودي) مروج الذهب ومعادن الجوهر بولاق 1283 هـ ، القاهرة 1303 هـ ـ باريس 1861

130 ـ المعجم الوسيط .

131 ـ المغربي (عبد القادر) مقالته عن الدينوري في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد التاسع والعشرون ص374 ـ 386 و 537 ـ 543

132 ـ الملك المظفر (ابن عمر بن علي بن رسول الغساني التركماني صاحب اليمن) ، المعتمد في الأدوية المفردة ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت 1975 .

133 ـ المقري (أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيَى بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد ، أبو العباس المقري) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، بولاق 1279 هـ ـ والأزهرية بالقاهرة 1304 هـ .

134 ـ منتصر (د. عبد الحليم) تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ، دار المعارف بمصر ، القاهرة 1973 .

135 ـ منتصر (عبد الحليم) حميد موراني ، قراءات في تاريخ العلوم عند العرب ، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل 1394 هـ ـ 1974 م

136 ـ منتصر ، مقالته عن العلوم الطبيعية في كتاب أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة 1970 .

137 ـ الموسوعة العربية الميسرة ، دار القلم ، القاهرة 1960 .

138 ـ موليه كليانت ، ترجمة كتاب ابن العوام إلى الفرنسية كما يلي :

Clement-Mullet Le Livre de l'Agriculture, 3 V. Paris 1864 - 1867

139 ـ ميلي (ألدو) ، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي ، ترجمه عبد الحليم النجار ، ومحمد يوسف موسَى ، دار القلم ، القاهرة 1381 هـ ـ 1962 م .

140 ـ ميلي ألدو ، أصل الكتاب السابق باللغة الفرنسية كما يلي :
Aldo Mieli, La Science Arabe et son rôle dans l'évolution Scientifique mondiale, Brill-Leiden 1939.

141 ـ النابلسي (عبد الغني) أعلام الملاحة في علم الفلاحة ، دمشق 1299 هـ 1882 م .

142 ـ نللينو (كارلو) الفلك عند العرب ، القاهرة .

143 ـ النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) نهاية الأرب في فنون الأدب ، طبعة دار الكتب ، صدر منها حتّى الآن 21 مجلدا ، القاهرة 1923 ـ 1978 م

144 ـ الهَرَوِيّ (أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي) الإشارات إلى معرفة الزيارات ، نشر المعهد الفرنسي بدمشق ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1953 .

145 ـ الهمذاني (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يوسف بن داود) ، صفة جزيرة العرب ، طبع الجزء الثاني منه بعناية هريك ملر ، ليُدن 1884 .

146 ـ الهمذاني (أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه) ، كتاب البلدان ، بريل ليدن 1302 هـ 1885 م .

147 ـ واط (مونتغمري) ، أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوربا ، ترجمة جابر أبي جابر ، مطبعة وزارة الثقافة ، دمشق 1981 .

148 ـ وستنفلد Wûstenfeld Die Geschichtschreiber der Araber

149 ـ الوطواط (محمد بن إبراهيم بن يحيَى بن علي الأنصاري جمال الدين الكتبي الوراق) مباهج الفِكَر ومناهج العِبَر.

150 ـ اليافعي (أبو عبد الله بن أسعد بن علي بن سليم بن فلاح) مرآة الجنان وعبرة اليَقْظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان وتقلب الإنسان، حيدر آباد الدكن 1334 ـ 1339هـ

151 ـ ياقوت الحموي (الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المشهور باسم معجم الأدباء، مطبوعات دار المأمون، القاهرة 1355 ـ 1357هـ ـ 1936 ـ 1938م

152 ـ ياقوت الحموي، معجم البلدان، طبعة دار صادر، دار بيروت، بيروت 1376هـ 1957 م:

153 ـ اليعقوبي (أبو العباس أحمد بن يعقوب بن واضح بن وهب) كتاب البلدان، دار بريل، ليدن 1891.

المؤلف في سطور

- ولد في إدلب (سورية) في آذار (مارس) من عام 1927 م ، وفيها تلقّي تعليمه الابتدائي ، ثم أتمّ في حلب تعليمه الثانوي .

- انتسب في تشرين الثاني (نوفمبر) من عام 1946 م إلى كلية الآداب والمعهد العالي للمعلمين بالجامعة السورية (جامعة دمشق حاليا) ، وتخرج منها في حزيران من عام 1950 حاملا إجازة في علوم اللغة العربية وآدابها ، ودبلوما في التربية والتعليم .

- مارس تدريس الأدب في دار المعلمين وثانويات حلب بين عامي 1950 و 1955 ،وإدارةثانويات فيها ، ثم غدا المفتش الاختصاصي لمادة اللغة العربية وآدابها بوزارة التربية منذ عام 1964 حتي اليوم .

- عضو اتحاد الكتاب العرب بالقطر العربي السوري ، وباحث بمعهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ، وعضو جمعية العاديات ، والجمعية السورية لتاريخ العلوم .

- نشر كتبا عديدة منها : جوانب إنسانية في تاريخنا وقوميتنا ، الحنين واللقاء في شعر المهجر ، العروبة في شعر المهجر ، كتب انصفت حضارتنا ، التاريخ الحقيقي للعرب (ترجمة عن الفرنسية) ، مدينة

حلب (ترجمة عن الفرنسية) ، من حديث العقل والقلب ، سيرة ابن سينا (تحقيق مع الأستاذ محمود فاخوري ، وترجمة للفرنسية بقلم الدكتور حكمت حمصي) .

- له اهتمامات بعلم الآثار، وبتاريخ العلوم عند العرب ، وقد كتب أبحاثا كثيرة فيهما منها :

آثار مدينة حلب ، المسجد الجامع الأعظم بقرطبة ، مكانة مدينة أوغاريت بين المدن القديمة ، الفارابي العالم ، مكانة ابن خلدون في تاريخ الحضارتين العربية والإنسانية ، دور الترجمة في نهضة العرب الحديثة ، المسجد في الحضارة العربية ، الأندلس في حياة ابن خلدون وتراثه ، مكانة ماري في تاريخ الحضارة .

- اسهم بأبحاث مختلفة في ندوات عالمية عقدت في حلب ودمشق واللاذقية ، وعمان ، والجزائر ، وباريس وتونس .

المحتـــوى

انتهى طبع هذا الكتاب
في افريل 1989 ، بمطبعة
الشركة التونسية لفنون الرسم ـ تونس
تحت عدد 433/89 الايداع القانوني 2/89

عدد الناشر : 89 ـ 88 ـ 100

المحتوى

الثمن : 1.300 د.ل ـ 3.900 د.ت